شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد السابع والسبعون، السنة السابعة ، شوّال ١٤٣٧ — تموز ٢٠١٦

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - المغرب: ٣٠ درهم

الجزائر: ٢٥ دينار - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار - الإمارات: ١٥ درهم

البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

77

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — هَدْمُ قِباب البقيع.. ..... الشيخ حسين كوراني — 6

تحقيق — العيد في الإسلام ..... إعداد: "شعائر" — 8

مراقبات — أعمال ومراقبات شهر شوّال ..... إعداد: "شعائر" — 13

أحسن الحديث — موجز في تفسير سورة "الإنسان" ..... إعداد: سليمان بيضون — 16

الحبّ: كلام في معناه وتعلّقه بالله تعالى ..... العلامة الطباطبائي رحمه الله — 18

تحرير القرآن الكريم للعقول ..... السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله — 20

أيام الله — مناسبات شهر شوّال ..... إعداد: "شعائر" — 21

وقال الرسول — ما معنى الإسلام، ومن هو المسلم ..... إعداد: "شعائر" — 24

حدود الله — حكم الوسوسة في الطهارة ..... إعداد: "شعائر" — 25

يزكّيهم — اللسان أخطر الجوارح ..... الفقيه الشيخ النراقي قدس سره — 26

الملف — الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام
سادسُ الأسباط الاثنَي عشر — 27

استهلال 28

قبسات من سيرة سادس أئمة المسلمين ..... الشيخ عباس القمي رحمه الله — 29

نبذة يسيرة مما أُثِر عن الإمام الصادق عليه السلام ..... العلامة الإربلي رحمه الله — 33

المواجهة السياسية عند الإمام الصادق عليه السلام ..... الإمام الخامنئي دام ظلّه — 37

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع بعض المعتزلة ..... رواية الشيخ الكليني — 41

لولا دعاؤكم — دعاء الإمام الصادق عليه السلام عند الشدائد ..... رواية السيد ابن طاوس رحمه الله — 43

صاحب الأمر — الدعاء لصاحب الزمان عجل الله فرجه عقب صلاة الظهر ..... السيد محمد تقي الأصفهاني رحمه الله — 44

تحقيق

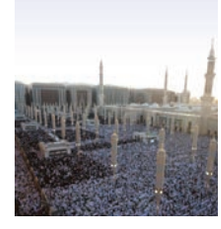

العيد في الإسلام

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	شرح "حقّ الصلاة" من (رسالة الحقوق)	العلامة المجلسي الأول رحمه الله	46
يذكرون	سورة التوحيد: المانعة من نفحات النار	إعداد: "شعائر"	47
حوارات	مع الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله	إعداد: "شعائر"	48
فكر ونظر	خطيئة دعاة التمدّن	الشيخ محمد تقي فلسفي رحمه الله	52
	فضيلة إكرام الذرّيّة العلوية	رواية المحدّث ابن أبي جمهور الأحسائي	54
أعلام	الصحابيّ الموالي المقداد بن عمرو الكِندي	إعداد: سليمان بيضون	57
كلمة سواء	أمين معلوف وانتهازية المثقف العربي	إيمان شمس الدين	61
وصايا	وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم	رواية ابن شعبة الحرّاني	62
مرابطة	٣٩ عاماً على جريمة الوهابيّين في البقيع	إعداد: "شعائر"	64
وثائق	وثيقة سعودية تطالب بهدم قبر الرسول صلى الله عليه وآله	إعداد: "شعائر"	66
دوائر ثقافية			67
موقف	مقابلة أحوال العيد بأحوال يوم القيامة	الفتّال النيسابوري رحمه الله	68
فرائد	ذِكر نبويّ لدفع الكرب والبلاء	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	(فلاح السائل) للسيد ابن طاوس	محمود إبراهيم	70
بصائر	موعظة الرسول صلى الله عليه وآله لأهل الصُّفّة	السيد فضل الله الراوندي رحمه الله	72
بصائر	أعمال مجرّبة للشفاء من الأمراض	السيد ابن طاوس قدس سره	73
مصطلحات	العَود... المعاد	المحقّق الشيخ حسن المصطفوي	74
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	76
إصدارات	عربية / أجنبية / دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	ثبات الأمة.. على هَدي القرآن	الإمام الخامنئي دام ظلّه	82

هَدْمُ قِباب البقيع..

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

في الثامن من هذا الشهر الهجريّ «شوّال» لعام ١٣٤٤ هجريّة، الموافق لعام ١٩٢٥ ميلاديّة، أي قبل ٩٣ عاماً، أقدم «سعود بن عبد العزيز» - جدّ الملك الحاليّ في الحجاز، سلمان آل سعود - على هَدْم قِباب الأئمّة الأربعة من أهل البيت عليهم السلام.

كانت القِباب تُظَلِّل - بالإضافة إلى الأئمّة - قبرَ العبّاس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، وقبرَ أمّ الإمام عليّ عليه السلام فاطمة بنت أسد التي عبّر عنها النبيّ - لشدّة عطفها عليه - بأنّها أمّه صلّى الله عليه وآله.

كانت هذه القِباب المكرّمة — لدى جميع المسلمين — تقع فوق أضرحة الأئمّة ومَن دُفن معهم، في «**بقيع الغَرْقَد**» في المدينة المنوّرة.

رافق هذا العدوان على مقدّسات المسلمين محاولاتٌ أخطر لهدم قبّة الحرم النبويّ، الأمر الذي أثار في حينه عاصفة من الشّجْب والتنديد جعلتْ «**سعود بن عبد العزيز**» يكتفي بنَهب «**الخزانة النبويّة!**» كما توثّق ذلك المصادر المعتبَرة.

***

تتعاظم مروحة الدلالات - لهذا العدوان على تقديس الأمّة للنبيّ الأعظم وآله عليهم الصلاة والسلام - وتتّسع لتتماهى مع تاريخ المنطقة والأمّة طيلةَ قرنٍ على الأقلّ، ولتشملَ سياسات الغرب المرتكزة على «**آل سعود، والوهّابيّة**» وتسليمهم زعامةَ العالم الإسلاميّ، رغم أنّهم — بإجماع علماء الإسلام - ليسوا مسلمين.

تصبّ روافد كلّ الدلالات في محورٍ واحد، هو أنّ آل سعود والوهّابيّين «**يهود**» بالسَّبب، يقيناً ودون أدنى شكّ، وبالنَّسَب على الأرجح.

يجب العمل- بأولويّة مطلقة- على تظهير حقائق هذا المحور، فهو السبيل الوحيد إلى:

١- تحرير الأمّة من نِير الاستعمارَين القديم والحديث.

٢- وهو السبيل الوحيد إلى التأسيس لوحدة الأمّة واقتلاع الغدّة السرطانيّة بوجهَيها اليهوديّ المكشوف واليهوديّ - السعوديّ المُقنَّع.

٣- كما أنّه المدخلُ الحصريّ إلى حُسن قراءة الراهن السياسيّ — الأمنيّ - العسكريّ، الداعشيّ — الصّهيو-دي. خصوصاً في تفسير مخزون الحقد السعوديّ الدفين والهائل، ضدّ كلّ ما يرتبط بمقاومة الكيان الصهيونيّ - ولو بمجرّد التأييد والموقف — لا سيّما في إيران ولبنان وغزّة والبحرين واليمن.

***

المدخلُ الأبرز إلى البحث الموضوعيّ في جميع الروافد التي تصبّ في هذا المحور، وَقعةُ «**الحَرّة**» السعوديّة، في «المدينة المنوّرة»، في مسار وقعة «الحَرّة» التي شنّها «**يزيد بن معاوية بن أبي سفيان**» يومَ قرّرت قريش أن تنتقم من المدينة المنوّرة لأنّها كانت مهاجَر رسول الله صلّى الله عليه وآله.

كانت «**حَرّة آل سعود**» استكمالاً لتلك الأمويّة، وكان الهدف منها تجريف آثار رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإعفاء القبر، لأنّ الوهابيّة - بخلاف جميع المسلمين تعتقد بأنّ السفر إلى المدينة بِنيّة زيارة قبر الرسول شِرك، وهو لذلك سفرُ معصية!

وفي ذكرى هدْم قبور أئمّة البقيع عليهم السلام، تأتي الوقفة هنا عند تقديس المسلمين للأئمّة الذين هدَمَ «**سعود**» قِبابهم، ليتّضح أنّ هذا العدوان قد استهدف الأمّةَ كلّها، وليتجلّى في سياقه أنّ حمَلات هَدْم قبور الأولياء التي دشَّنَ دواعش آل سعود سِجلَّهم الأسود بها ليس إلا تكراراً لنفس المخطّط الذي كان هَدْمُ قِباب البقيع في سياقه.

***

بالرجوع إلى آراء كبار علماء المسلمين السنّة في مكانة الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام، الذين هدَم «آل سعود» قِبابهم، وموقعَهم من عقيدة الأمّة، نجد أنّ من البديهيّات أنّ مَن يَجرؤ على المسّ بهم عليهم السلام، لا علاقةَ له بالأمّة من قريبٍ أو بعيد.

ما يلي نموذجٌ من تقديس كبار العلماء للأئمّة الأربعة عليهم السلام.

في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، قال ابن حَجَر الهيتميّ في (الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البِدع والزندقة):

«الباب العاشر، (في خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكراماته، وفيه فصول). (الفصل الأول في خلافته):

هو آخرُ الخلفاء الراشدين بنَصِّ جدّه، وليَ الخلافةَ بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستّة أشهر وأياماً خليفةَ حقٍّ وإمامَ عدلٍ وصِدقٍ تحقيقاً لما أخبر به جدّه الصادق المصدوق بقوله: **الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سنة**، فإنّ تلك الستّة الأشهر هي المكمّلة لتلك الثلاثين، فكانت خلافتُه منصوصاً عليها وقام عليها إجماعُ مَن ذُكر فلا مِريةَ في حقّيّتها..».

وفي ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام، قال الهيتميّ في (المصدر المتقدّم، ص ٢٠٠):

«وزينُ العابدين هذا هو الذي خلَف أباه عِلماً وزُهداً وعبادةً، وكان إذا توضّأ للصلاة اصفرّ لونُه فقِيلَ له في ذلك، فقال: **ألا تَدرونَ بين يدَي مَن أقف؟** وحُكِيَ أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة..». إلى أن قال: «كتبَ عبد الملك للحجّاج أن يجتنبَ دماء بني عبد المطّلب، وأمرَه بِكَتْمِ ذلك، فكُوشِفَ به زينُ العابدين، فكتب إليه إنّك كتبتَ للحجّاج يومَ كذا سرّاً في حقّنا، بني عبد المطّلب، بكذا وكذا، وقد شكرَ اللهُ لك ذلك، وأرسل به إليه، فلمّا وقفَ عليه وجد تاريخَه موافقاً لتاريخ كتابه للحجّاج، ووجد مخرجَ الغلام موافقاً لمَخرج رسوله للحجّاج، فعَلِمَ أنّ زين العابدين كُوشِفَ بأمره، فَسُرَّ به وأرسلَ إليه مع غلامه بوِقْر راحلتِه دراهمَ وكِسوة، وسألَه أن لا يُخليه من صالحِ دُعائه».

وفي ترجمة الإمام الباقر عليه السلام، قال ابن حَجَر الهيتميّ في (نفس المصدر، ص ٢٠١):

«أبو جعفر محمّد الباقر، سُمِّيَ بذلك مِن بقَرَ الأرضَ؛ أي شقّها وأثار مُخبّآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبّآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحِكم واللطائف ما لا يخفى إلا على مُنطَمِس البصيرة أو فاسد الطَّويّة [و] السَّريرة، ومن ثَمّ قيلَ فيه: هو باقرُ العلم وجامعُه وشاهِرُ عَلَمه، وعمرتْ أوقاتُه بطاعة الله، وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تَكِلُّ عنه ألسِنةُ الواصفين، وله كلماتٌ كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملُها هذه العجالة».

أضاف ابن حَجَر الهيتميّ: «وكفاه شرفاً أن ابن المدينيّ روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسولُ الله يُسَلِّمُ عليك. فقيلَ له: وكيفَ ذاك؟ قال: كنتُ جالساً عنده والحسين في حِجره وهو يداعبه، فقال: **يا جابر، يُولَدُ له مَولودٌ اسمُه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: لِيَقُم سيّدُ العابدين، فيقومُ ولَدُه، ثمّ يولَد له ولدٌ اسمُه محمّد، فإنْ أدركتَه، يا جابر، فأَقْرِئه منّي السلامَ**».

«تُوفِّيَ سنة سبع عشرة ومئة عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كأبيه، وهو علويّ من جهة أبيه وأمه، ودُفن أيضا في قبّة الحسن والعبّاس بالبقيع».

وفي ترجمة الإمام الصادق عليه السلام أضاف ابن حجر:

«وخلّف — الباقر - ستّة أولاد؛ أفضلهم وأكملُهم جعفر الصادق، ومن ثَمّ كان خليفتَه ووصيَّه، ونقلَ الناس عنه من العلوم ما سارتْ به الركبان، وانتشر صِيتُه في جميع البلدان، وروى عنه الأئمّة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج، والسُّفيانَيْن، [سفيان الثوريّ وسفيان بن عُيينة] وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختيانيّ، وأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر..».

***

تتزامن الذكرى الثالثة والتسعون لهدم قباب الأئمّة الأربعة من أهل البيت عليهم السلام في البقيع، مع فرصة تاريخيّة لزيادة البصيرة، لتُوقِن الأمّة بأنها على منعطفٍ بالغ الحساسيّة والخطورة:

- إما أن تَلفُظَ الأمّة هذه الغدّة السرطانيّة بوجهَيها الصّهيو-دي، فتدفن الأمّة «سايكس — بيكو» وكلّ تداعياته — ومنها وعد بلفور- الذي تمّ تركيبه على فِريتَين كبيرتَين: الوطن القوميّ اليهوديّ، وزعامة آل سعود للعالم الإسلاميّ من خلال تطويب الحجاز لآل سعود في ما يُشبه «الوطن القوميّ السعوديّ».

- وإما أن تدخل الأمّة والمنطقة بأَسْرها في نفقٍ صهيونيٍّ جديد، هو بالتأكيد أسوأ - بما لا يقاس- من كلّ مراحل الاستعمار السابقة وتداعياتها.

ويتعاظمُ الأملُ بنصر الله تعالى، بالتدبُّر في الراهن الواعد والمستقبل الباسم ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

العيد في الإسلام
«يومُ اجتماعٍ، وزَكاةٍ، ورَغبةٍ، وتَضرّع»

إعداد: «شعائر»

للعيد نكهة خاصّة عند جميع الشّعوب، فهو مظهر من مظاهر الفرح والحبور حيث ينفض غبار الهموم ورتابة الأعمال اليوميّة، كما يشكّل حلقة اجتماعيّة من خلال تواصل الأهل والأقارب والأصدقاء وتزاورهم في جوّ من السّرور والبهجة.

وقد عرف العرب أعياداً في جاهليّتهم ألغاها الإسلام لارتباطها بعبادة الأوثان، وأبقى على عيد النّحر أو الأضحى بعدما أزال الطّقوس الوثنيّة منه، معيده إلى سنّة النّبيّ إبراهيم عليه السلام في الحجّ، وأضاف عيد الفطر في الأوّل من شوّال، بشعائره الإسلاميّة ومضامينه الإنسانيّة.

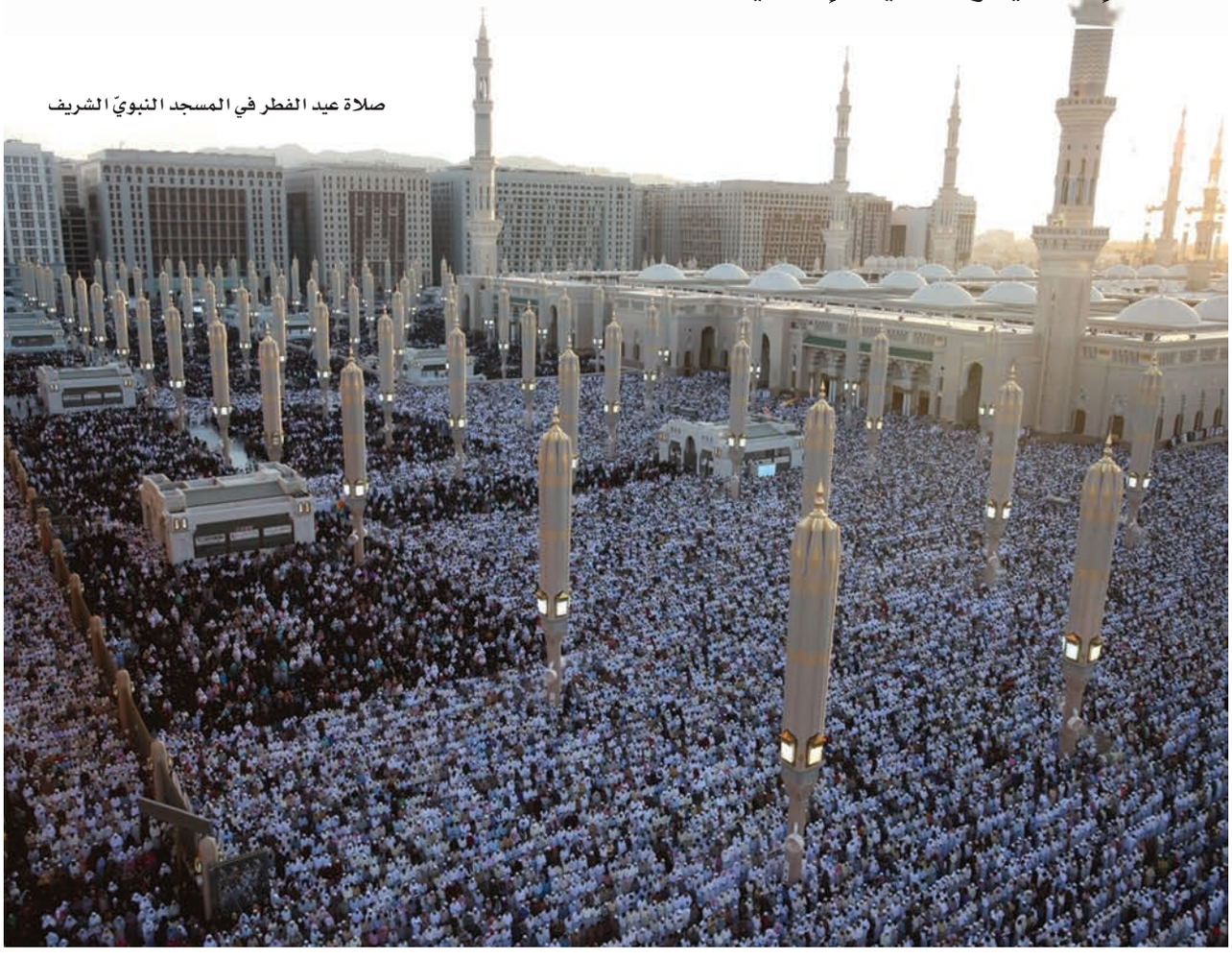

صلاة عيد الفطر في المسجد النبويّ الشريف

العِيدُ، لغةً، كُلُّ يَوْمٍ فيهِ جَمْعٌ، واشتقاقُه من عادَ يَعود، كأَنَّهم عادُوا إِليه. وقيل: اشتِقاقُه من العادَةِ، لأَنَّهم اعتادُوه. والجَمْع: أَعيادٌ.

وإذا كان العيد، الوقْت الّذِي يَعُود فيه الفَرَحُ والحُزْنُ، أو ما يَعْتَادُه من الحُزْنِ والشَّوْقِ، فإنّ معناه الاصطلاحيّ طغى على معناه اللّغويّ، حتّى ارتبط في الأذهان أنّه سُمِّيَ عِيداً، لأَنَّه يَعُودُ كلَّ سَنَةٍ بِفَرَحٍ مُجَدَّدٍ.

من وداع شهر رمضان بختم القرآن الكريم

وسُمّي العيد يوم الزّينة، للزّينة التي تُتّخذ في يوم العيد، كما سُمّي يوم الخروج، حيث يخرج النّاس إلى أماكن محدّدة كدور العبادة، أو إلى أماكن عامّة يحتفلون بيوم العيد.

عيد الفِطر في الإسلام

فُرض صيام شهر رمضان في السّنة الثّانية من الهجرة في شعبان، وحُوّلت القبلة، وفُرض زكاة الفطر، وشُرِّع فيها صلاة العيد.

وقد سُئل الإمام الرّضا عليه السّلام عن علّة يوم العيد بعد الصّيام، فقال: «**إنّما جُعِلَ يَوْمُ الفِطْرِ العيدَ لِيَكونَ لِلمُسْلِمينَ مَجْمَعاً يَجْتَمِعونَ فيهِ، وَيَبْرُزونَ إِلى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَحْمَدونَهُ عَلى مَا مَنَّ عَلَيْهِمْ، فَيَكونُ يَوْمَ عيدٍ، وَيَوْمَ اجْتِماعٍ، وَيَوْمَ فِطْرٍ، وَيَوْمَ زَكاةٍ، وَيَوْمَ رَغْبَةٍ، وَيَوْمَ تَضَرُّعٍ، وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ يَحِلُّ فيهِ الأَكْلُ وَالشُّرْبُ، لِأَنَّ أَوَّلَ شُهورِ السَّنَةِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ شَهْرُ رَمَضانَ، فَأَحَبَّ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَكونَ لَهُمْ في ذَلِكَ اليَوْمِ مَجْمَعٌ يَحْمَدونَهُ فيهِ وَيُقَدِّسونَهُ**».

زكاة الفطرة

يجب على المسلمين إخراج زكاة الفطرة للفقراء على التّفصيل المُبيّن في الكتب الفقهيّة؛ وعنها قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «مَنْ أَدّى زَكاةَ الفِطْرَةِ تَمَّمَ اللهُ لَهُ بِها مَا نَقَصَ مِنْ زَكاةِ مالِهِ».

وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «**إِنَّ مِنْ تَمامِ الصَّوْمِ إِعْطاءَ الزَّكاةِ - كَما أَنَّ الصَّلاةَ عَلى النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ مِنْ تَمامِ الصَّلاةِ - لِأَنَّهُ مَنْ صامَ وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكاةَ فَلا صَوْمَ لَهُ إِذا تَرَكَها مُتَعَمِّداً**».

فكانت زكاة الفطرة عاملاً في إدخال الفرح على قلوب الفقراء يوم العيد، ومظهراً من مظاهر التّكافل الاجتماعيّ.

ومع التّطوّر الحضاريّ واتّساع رقعة البلاد، أضحت للفطرة دارٌ

استقبال العيد

يجري من خلالها توزيع الفطرة على المستحقّين، من ذلك ما يخبر به المؤرّخ ابن الطوير (ت: ٦١٧ للهجرة) في كتابه (نزهة المُقلتَين في أخبار الدّولتين) من أنّ العزيز بالله الفاطميّ بنى «دار الفطرة» خارج القصر، وهو أوّل من بناها، وقرّر فيها ما يُعمل مما يُحمل إلى الناس في العيد، وهي قبالة باب الدَّيْلم من القصر الذي يدخل منه إلى المشهد الحسينيّ بالقاهرة.

الاستعداد للعيد

كان الاستعداد للعيد يجري على المستوى الدّينيّ من وداع شهر رمضان بختم القرآن الكريم والإكثار من الأدعية والأذكار، وعلى المستوى الاجتماعيّ من تجهيز الملابس والمأكولات والحلوى الخاصّة بالعيد. فكان المؤمنون يستعدّون للعيد بكثرة الدّعاء، وفي حديثه عن الصّائمين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«... **يَغْفِرُ لَهُمْ في آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ**.

قيل: يا رسول الله! أي ليلة؟ القدر؟

قال: **لا وَلَكِنَّ العامِلَ إِنَّما يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذا انْقَضى عَمَلُهُ**».

لذلك كان الإمام الرّضا عليه السّلام يُوصي قائلاً: «**أَكْثِروا مِنْ ذِكْرِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاةِ عَلى رَسولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في لَيْلَةِ الفِطْرِ، فَإِنّها لَيْلَةٌ يُوَفَّ فِيها الأَجيرُ أَجْرَهُ**».

أمّا بخصوص الاستهلال، فإنّ الأمر لا يختلف عمّا ذكرناه عن استهلال هلال شهر رمضان في التحقيق السّابق.

وقد أوصى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بالاغتسال قبل التّوجّه إلى صلاة العيد، فكان المسلمون يغتسلون، وكان الحثّ على غُسل العيد والجمعة وغير ذلك من الأغسال، «.. **لِمَا فيهِ مِنْ تَعْظيمِ العَبْدِ رَبَّهُ، وَاسْتِقْبالِهِ الكَريمِ الجَليلِ، وَطَلَبِ المَغْفِرَةِ لِذُنوبِهِ، وَلِيَكونَ لَهُمْ يَوْمُ عيدٍ مَعْروفٍ يَجْتَمِعونَ فيهِ عَلى ذِكْرِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَجُعِلَ فيهِ الغُسْلُ تَعْظيماً لِذَلِكَ اليَوْمِ**».

من زينة عيد الفطر

ختم القرآن الكريم

وإذا كانت المساجد تعمر بكثرة تلاوة القرآن في شهر رمضان المبارك، فإنّ في اللّيلة الأخيرة كان يجري فيها خَتْم القرآن بكامله، وفي العصر الفاطميّ في القاهرة، كان الحاكم الفاطميّ يفتح أبواب قصره للمُقرئين لختمه.

وفي هذا قال المقريزيّ في (خُططه): «ولمّا كان في التّاسع والعشرين من شهر رمضان، خرجت الأوامر بإضعاف ما هو مستقرّ للمُقرئين والمُؤذّنين في كلّ ليلة برسم السّحور بحكم أنّها ليلة ختم الشّهر».

ثمّ يصف المقريزيّ ما كان يجري من زينة واستعراض الوحوش المزيّنة والنّجائب والخيول، وعرض الأسلحة وآلات الموكب المعدّة للخروج في الموكب يوم العيد.

المساجد، والبيت الحرام

وكانت المساجد تتهيّأ للعيد مثلما تهيّأت لاستقبال شهر رمضان، وقد وصف ابن بطوطة في رحلته الحرم المكّيّ ليلة العيد فقال:

«وعادتهم في شوّال، وهو مفتَتح أشهر الحجّ المعلومات، أن يُوقدوا المشاعل ليلة استهلاله، ويُسرجون المصابيح والشّمع، على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان. وتُوقد السّرج في الصّوامع من جميع جهاتها، ويُوقَد سطح الحرم كلّه وسطح المسجد الذي بأعلى أبي قبيس، ويُقيم المؤذّنون ليلتهم تلك في تهليل وتكبير وتسبيح، والنّاسُ ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء، فإذا صلّوا صلاة الصّبح أخذوا في أهبة العيد، ولبسوا أحسن ثيابهم، وبادروا لأخذ مجالسهم بالحرم الشّريف، به يصلّون صلاة العيد، لأنّه لا موضع أفضل منه. ويكون أوّل من يبكر إلى المسجد (السَّدّنة) فيفتحون باب الكعبة المقدّسة، ويقعد كبيرهم في عتبتها، وسائرهم بين يديه، إلى أن يأتي أمير مكّة فيتلقّونه، ويطوف بالبيت أسبوعاً، والمؤذّن الزمزميّ فوق سطح قبّة زمزم على العادة.... ثمّ يأتي الخطيب بين الرّايتين السّوداوين، والفرقعة أمامه، وهو لابسٌ السّواد، فيصلّي خلف المقام الكريم، ثمّ يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة. ثمّ إذا فرغ منها أقبل النّاس بعضهم على بعض بالسّلام والمصافحة والاستغفار، ويقصدون الكعبة الشّريفة فيدخلونها أفواجاً، ثمّ يخرجون إلى مقبرة باب المعلّى، تبرّكاً بمن فيها من الصّحابة وصدور السّلف ثمّ ينصرفون».

الزيّنة والتّجمّل

كان النّاس، وما زالوا، يلبسون يومَ العيد أحسن ثيابهم، ويتطيّبون ويمتشطون؛ وجاء في الحديث: «**اغْتَسِلْ في العيدَيْنِ جَميعاً وَتَطَيَّبْ وَتَمَشَّطْ، وَالْبَسْ أَنْظَفْ ثَوْبَ مِنْ ثِيابِكَ**».

وكان لرسول الله صلّى الله عليه وآله - كما ورد في البحار- ثلاثُ قَلانس؛ قلنسوة السفر، وقلنسوة العيدين، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

كما كان الأولاد يرتدون أجمل لباسهم في ذلك النّهار. والعادة في العيد «أن يُحَسِّنَ الناسُ هيآتهم ويأخذوا عند كلّ مسجد زينتهم»، وفي هذا قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**يَنْبَغي لِمَنْ خَرَجَ إِلى العيدِ أَنْ يَلْبَسَ أَحْسَنَ ثِيابِهِ، وَيَتَطَيَّبَ بِأَحْسَنِ طِيبِهِ**».

الخروج لصلاة العيد

كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يخرج يوم الفطر والأضحى رافعاً صوته بالتّكبير، موصياً: «**زَيِّنوا أَعْيادَكُمْ بِالتَّهْليلِ وَالتَّكْبيرِ وَالتَّحْميدِ وَالتَّقديسِ**».

ورد في (بحار الأنوار) للمجلسيّ: «والتّكبير في العيدَين واجب، أمّا في الفطر ففي خمس صلوات؛ يبتدىء به من صلاة المغرب ليلة الفطر إلى صلاة العصر من يوم الفطر، وهو أن يقال: **اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ، اللهُ أكبرُ عَلى مَا هَدَانا، والحمدُ للهِ عَلى مَا أبلانا**». والمراد بالوجوب في صدر الفقرة هو الاستحباب المؤكّد.

وقد سُئل الإمام الرّضا عليه السّلام عن علّة التّكبير في العيد فقال: «**لأنَّ التَّكْبيرَ إنَّما هُوَ تَعْظيمٌ للهِ وَتَمْجيدٌ عَلى ما هَدى وَعافى، كما قالَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ**: ﴿...وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ١٨٥».

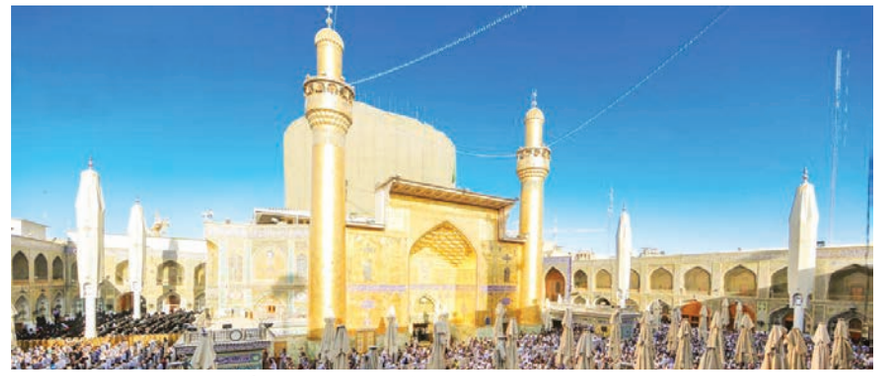

صلاة عيد الفطر في الحرم العلويّ المطهر -النجف الأشرف

ويظهر أنّ صلاة العيد كانت تُقام خارج المسجد في مكان مكشوف، ورُوي عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه خرج يوم العيد فلم يزل يُكبّر حتّى انتهى إلى الجبّانة.

وكانت تُقام بالبقيع زمن الإمام السّجّاد عليه السّلام؛ فعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: «كنتُ بالمدينة وقد ولّاها مروان بن الحكم من قِبل يزيد بن معاوية، وكان شهر رمضان، فلمّا كان في آخر ليلةٍ منه أمر مناديه أن ينادي في النّاس بالخروج إلى البقيع لصلاة العيد.

فغدوتُ من منزلي أريد سيّدي عليّ بن الحسين عليه السّلام غلساً، فما مررتُ بسكّة من سكك المدينة إلّا لقيتُ أهلها خارجين إلى البقيع فيقولون: إلى أين تريد يا جابر؟

فأقول إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتّى أتيت المسجد فدخلته، فما وجدت فيه إلّا سيّدي عليّ بن الحسين عليهما السلام قائماً يصلّي صلاة الفجر وحدَه، فوقفت وصلّيت بصلاته. فلمّا فرغ من صلاته، سجد سجدة الشّكر، ثمّ إنّه جلس يدعو وجعلت أؤمن على دعائه...».

وفي زمن العبّاسيّين، كان الحاكم يخرج لصلاة العيد في موكب مهيب، وقد طلب المأمون

أعياد جاهلية أبطلَها الإسلام

عرف العرب في الجاهليّة أعياداً أبطلها الإسلام، منها:

- الاحتفال بـ «ذات أنواط»، وهي شجرة كبيرة، قرب مكّة، ورد ذكرها في السّيرة، حيث كان المشركون يَنُوطُون بها سِلاحَهُمْ، أَيْ يُعَلِّقُونَه ويَعْكُفُون حَوْلَها.
- وقبل حلول النّصرانيّة في نجران، كان أهلُها وثنيّين يعبدون نخلةً ويعيّدون عندها كلّ عام بحسب ما أورد الطبريّ في (تاريخه).
- واتّخذ العرب أعياداً عند اللّات والعزّى ومناة الثّالثة، فكانوا ينحرون عندها الذّبائح ويوزّعونها على من حضرهم.
- وكان لأهل يثرب يومان يلعبون فيهما، وقد أخذوهما من الفرس.
- واحتفل قومٌ من العرب، بـ«يوم السّباسب»، وتشير المصادر إلى أنّه عيد الشّعانين المعروف عند النّصارى.
- ومن أعيادهم: يومُ السَّبْعِ، فقد ورد ذكره دون تفاصيل عنه.
- وكان يوم النّحر في الحجّ عيد العرب الأكبر في الجاهليّة، وهو عيد الأضحى عند المسلمين، بعدما أزال الإسلام الطّقوس الوثنيّة منه مُعيدَه إلى سنّة النبيّ إبراهيم عليه السّلام في الحجّ.

العبّاسيّ من الإمام الرّضا عليه السّلام أن يخرج لصلاة العيد أمام الحشد الغفير من النّاس، وفي هذا رُوي – عن ياسر الخادم وغيره – أنّه لمّا «حضر العيد بعث المأمون إلى الرّضا عليه السّلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب لتطمئنّ قلوب النّاس، ويعرفوا فضله، وتقرّ قلوبهم على هذه الدّولة المباركة.

فبعث إليه الرّضا عليه السّلام وقال: **قَدْ عَلِمْتَ ما كان بَيْني وَبَيْنَكَ مِنَ الشُّروطِ في دُخُولِي فِي هَذا الأَمْرِ.**

فقال المأمون: إنّما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامّة والجند والشاكريّة هذا الأمر فتطمئنّ قلوبهم ويقرّوا بما فضّلك الله تعالى به، فلم يزل يرادّه الكلام في ذلك.

فلمّا ألحّ عليه، قال الرضا عليه السلام: **إِنْ أَعْفَيْتَني مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَإِنْ لَمْ تُعْفِني خَرَجْتُ كَما كانَ يَخْرُجُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِه وَسَلَّمَ، وَكَما خَرَجَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ عَلَيه السَّلامُ.**

فقال المأمون: اخرج كما تحبّ. وأمر المأمون القوّاد والنّاس أن يبكّروا إلى باب أبي الحسن الرضا عليه السّلام.

فقعد النّاس لأبي الحسن عليه السّلام في الطّرقات والسُّطوح، من الرّجال والنّساء والصّبيان، واجتمع القوّاد على باب الرّضا عليه السّلام، فلمّا طلعت الشّمس قام الرّضا عليه السّلام فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفاً منها على صدره، وطرفاً بين كتفيه، وتشمّر، ثمّ قال لجميع مواليه: **افْعَلوا مثلَ ما فَعَلْتُ.**

ثمّ أخذ بيده عكّازة، وخرج ونحن بين يديه، وهو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف السّاق وعليه ثياب مُشمّرة.

فلمّا قام ومشينا بين يدَيه، رفع رأسه إلى السّماء وكبّر أربع تكبيرات؛ فخُيّل إلينا أنّ الهواء والحيطان تجاوبه... والقوّاد والنّاس على الباب قد تزيّنوا ولبسوا السّلاح وتهيّؤوا بأحسن هيئة، فلمّا طلعنا عليهم بهذه الصّورة حفاةً قد تشمّرنا وطلع الرّضا عليه السلام، وقف وقفةً على الباب، وقال: (**اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ عَلى ما هَدانا، اللهُ أكبرُ على ما رَزَقَنا مِنْ بهيمَةِ الأَنْعامِ، وَالحَمْدُ للهِ عَلى ما أَبْلانا**)؛ ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا.

فتزعزعت «مَرو» من البكاء والصّياح، فقالها: ثلاث مرّات، فسقط القوّاد عن دوابّهم، ورموا بخِفافهم لمّا نظروا إلى أبي الحسن عليه السّلام، وصارت مرو ضجّةً واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضّجّة.

فكان أبو الحسن عليه السّلام يمشي ويقف في كلّ عشرة خطوات وقفةً ويُكبّر الله تعالى أربع مرّات، فيتخيّل إلينا أنّ السّماء والأرض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين! إن بلغ الرّضا المُصلّى على هذا السّبيل افتُتن به النّاس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن عليه السّلام بخفّه فلبسه ورجع».

جموع المسلمون يستقبلون عيد الفطر في الحرم الرضوي المقدس

وفي زمن الفاطميّين بالقاهرة: «كان في شرقيّ القصر الكبير مصلّى العيد من خارج باب النّصر، وهذا المصلّى بناه القائد جوهر الصّيقلّي لأجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ثمّ جدّده العزيز بالله، وبقي إلى الآن بعض هذا المصلّى، واتّخذ في جانب منه موضع مصلّى الأموات اليوم»، وذلك بحسب ما أخبره المقريزيّ في (خططه).

كلمة أخيرة

ونختم بما رواه الشيخ الكليني في (الكافي)، عن جابر الأنصاريّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام أنّه قال: «**قالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ: إِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَوّالٍ نَادَى مُنادٍ: أَيُّها الْمُؤْمِنونَ! اغْدُوا إِلى جَوائِزِكُمْ. ثُمَّ قالَ: يا جابِرُ، جَوائِزُ اللهِ لَيْسَتْ بِجَوائِزِ هَؤُلاءِ الْمُلوكِ، ثُمَّ قالَ: هُوَ يَوْمُ الجَوائِزِ**».

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام في صفة العيد: «**إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ**».

مراقبات شهر شوّال

أسألُكَ بِحقِّ هذا اليوم الّذي جعلتَهُ لِلمسلِمينَ عيداً

إعداد: «شعائر»

يقول السيّد ابن طاوس في (إقبال الأعمال) عن يوم العيد وأهميّته: «إنّ يوم العيد هو باب سعيد، وتجديد فضلٍ جديد، لم يأتِ مثله منذ سنة ماضية، ويمضي فلا يعود مثله إلى السنة الآتية. وما يخفى على ذوي الألباب أنّ المناسبات التي تكون في الأوقات المتباعدات لها حقّ التعظيم والاحترام، وحقّ الاعتراف لصاحب الإنعام، ولزوم الآداب في سائر الأسباب مع مالك يوم الحساب».

مراقبة ليلة الفطر وأدبها

ليلة العيد هي وقت الخروج من حرم الشهر المبارك، وليلة لها خصوصيّتها، على قول الميرزا الملكي التبريزي في كتابه (المراقبات)، لجهة الاجتهاد في العبادة، برجاء القبول، ونيل الجزاء، ومعالجة التقصير، وممّا قاله رحمه الله: «جعل الله شهر رمضان مضماراً للسباق بعبادته، وندب عباده يوم العيد ليجتمعوا على أخذ الجوائز والعطايا. فيوم العيد هو وقت ظهور آثار أعمال شهر رمضان، وإعطاء جزاء عباداتها؛ فمَن أحسن مراقبة الله جلّ جلاله في ليلة عيده، وعالج تقصيره فيما يجب عليه في شهر رمضان في ليلة الفطر، واستأهل نفسه للتعبّد، وخلط نفسه في عباد الله الصالحين، يرجى له أن يقبل الله تعالى يوم عيده كما يقبلهم، ولا يقنّطه من خاصّة ألطافه، ولا يداقّه بتقصيره في عباداته، بعد اعترافه بالتقصير، ويخلطه بأهل نواله من عباده المكرمين، والشهداء والصدّيقين».

أعمالُ ليلة الفِطر

١ – **الإحياء:** عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ أَحْيا لَيْلَةَ العيدِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَموتُ القُلوبُ**».

٢ – **الغسل في أوّل اللّيل وآخره:** يستحبّ الغسل في هذه اللّيلة بعد غروب الشّمس، ويأتي بغسل آخر في آخر اللّيل، قال الشيخ الطُّوسيّ في (مصباح المتهجّد): «اغتسِل في آخر اللّيل، واجلس في مصلّاك إلى طلوع الفجر».

٣ – **أذكار السّجود:** ومن السُّنّة أن يقول عقيب صلاة المغرب ليلة الفطر وهو ساجد: «**يا ذا المَنِّ وَالطَّوْلِ، يا ذا الجُودِ، يا مُصْطَفِيَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَناصِرَهُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَحْصَيْتَهُ وَهُوَ عِنْدَكَ فِي كِتابٍ مُبِينٍ**». ثمّ يسجد ويقول في سجوده مائة مرّة: «**أَتُوبُ إِلى اللهِ**». ثمّ يسأل الله تعالى ما يشاء.

٤ – **التّكبير:** ويستحبّ أيضاً التكبير عقيب أربع صلوات: المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الفجر وصلاة العيد يقول: «**اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، الحَمْدُ للهِ عَلى ما هَدانا، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلى ما أَوْلانا**».

٥ – **زيارة الإمام الحسين عليه السلام:** لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم فضلٌ عظيم. (مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسين عليه السلام في عيدَي الفطر والأضحى)

٦ – **الدّعاء:** أن يدعو عشر مرات بالدُّعاء: «**يا دائِمَ الفَضْلِ على البَرِيّة..**». (مفاتيح الجنان، أعمال ليلة الجمعة)

٧- الصلوات:

أ) **ركعتان**: يقرأ في الأولى بعد (الحمد) (التّوحيد) ألف مرّة، ويقرأها في الثّانية مرّة واحدة، ويسجد بعد السلام فيقول: **أَتُوبُ إِلى اللهِ**. مائة مرّة. ثمّ يَقول: يا ذا المَنِّ وَالجُودِ، يا ذا المَنِّ وَالطَّوْلِ، يا مُصْطَفِيَ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْعَلْ بِي كَذا وَكَذا، ويسأل حاجتَه.

ورُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يصلّيها كما ذُكر، فإذا رفع رأسه يَقول: «والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ، لا يَفْعَلُها أَحَدٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعالى شَيْئاً إِلَّا أَعْطاهُ، وَلَوْ أَتاهُ مِنَ الذُّنوبِ عَدَدَ رَمْلِ الصَّحْراءِ غَفَرَ اللهُ لَهُ».

وأورد الشيخ الطوسي والسيّد ابن طاوس دعاءً بعد هذه الصلاة أوّله: «**يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ يا رَحْمَنُ..**». (مفاتيح الجنان، أعمال اللّيلة الأولى من شوّال)

وفي رواية أخرى تُقرأ سورة (التّوحيد) مائة مرّة في الرّكعة الأولى عوضَ الألف مرّة، ولكن على هذه الرّواية تؤدّى هذه الصّلاة بعد فريضة المغرب ونافلته.

ب) **ستّ ركعات**: عن رسول صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ صَلّى لَيْلَةَ العيدِ سِتَّ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ خَمْسَ مَرّاتٍ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) إِلّا شُفِّعَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ، وَإِنْ كانوا قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النّارُ**».

ج) **أربع عَشرة ركعة**: يقرأ في كلّ ركعة (الحمد)، وآية (الكرسيّ)، وثلاث مرّات سورة (قل هُوَ الله أحد) ليكون له بكلّ ركعة عبادة أربعين سنة، وعبادة كلّ مَن صام وصلّى في هذا الشّهر.

د) **عشر ركعات**: في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: « **مَنْ صَلّى لَيْلَةَ عيدِ الفِطرِ عَشْرَ رَكَعاتٍ بِالحَمْدِ مَرَّةً وَالإِخْلاصِ عَشْرَ مَرّاتٍ، وَيَقولُ مَكانَ تَسْبيحِ الرُّكوعِ والسُّجودِ: سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَيُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ أَلْفَ مَرَّةٍ بَعْدَ الفَراغِ، وَيَقولُ فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ**: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ، يا رَحْمَنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحيمَهما، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، يا إِلَهَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، اغْفِرْ لي ذُنوبي وَتَقَبَّلْ صَوْمي وَصَلاتي. لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ مِنَ السُّجودِ حَتّى يَغْفِرَ لَهُ وَيَتَقَبَّلَ مِنْهُ صَوْمَهُ وَيَتَجاوَزَ عَنْ ذنوبِهِ».

يوم الفطر

تستمرّ إمكانية تدارك التقصير إلى فجر يوم العيد، حيث يؤكّد الميرزا الملكي التبريزي في (المراقبات) وجوب التوسّل الصادق وطلب الشفاعة، والمبالغة في ذلك على قدر أهميّة هذا اليوم: «من المهمّ التوسّل والاستشفاع بحامي اليوم وخفيره أوّل الطلوع، والمبالغة في ذلك بقدر خطر أمر اليوم، فإنّ خطره بقدر جميع أوقاته وحالاته من شهر رمضان، لأنّه

كيفيّة صلاة العيد

ركعتان، تقرأ في الأوّلى (الحمد) وسورة (الأعلى)، وتكبّر بعد القراءة خمس تكبيرات، وتقنت بعد كلّ تكبيرة، فتقول:

أَللّهُمَّ أَهْلَ الكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ، وَأَهْلَ الجُودِ وَالجَبَرُوتِ، وَأَهْلَ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَهْلَ التَّقوى وَالمَغْفِرَةِ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هذا اليَوْمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً، وَلِمُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذُخْراً وَمَزِيداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ. أَللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما سَأَلَكَ عِبادُكَ الصَّالِحُونَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمّا اسْتَعاذَ مِنْهُ عِبادُكَ الصَّالِحُونَ.

ثمّ تكبّر السادسة وتركع وتسجد، ثمّ تنهض للركعة الثانية فتقرأ فيها بعد (الحمد) سورة (الشمس)، ثمّ تكبّر أربع تكبيرات، تقنت بعد كلّ تكبيرة، وتقرأ في القنوت ما مرّ، فإذا فرغت كبّرت الخامسة فركعت وأتممت الصّلاة، وسبّحت بعد الصلاة تسبيح الزهراء عليها السلام.

وقت ظهور الثمرة، وإعطاء الجوائز، وكشف الحجاب عن وجه القبول والردّ، والرضا والسخط، والقرب والبعد، والسعادة والشقاوة، يمكن للعبد السعيد أن يحسن أدبه في حضور هذا المقام، ويعالج كلّ ما احتطب على نفسه في أيّام شهره ولياليه من الذنوب، وأن يصلح كلّ ما ضيّعه من المكارم الإلهيّة والألطاف الربّانية، والمراحم الرحيميّة والرحمانيّة. فيمكن أن يتدارك بلطف أدب الساعة، كلّ ما قصّر فيه من مهامّ شهر رمضان، ويبدّل سيّئاته بأضعافها من الحسنات، ويصل إلى رفيع الدرجات».

أعمال يوم الفطر

١ - **التكبير**: أن تكبر بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العيد بالتّكبيرات التي وردت في ليلة العيد.

٢ - **زكاة الفطرة**: إخراج زكاة الفطرة على التفصيل المبيّن في الكُتب الفقهيّة، وهي من الواجبات المؤكّدة، وهيَ شرط في قبول صيام شهر رمضان، وأمانٌ من الموت إلى السنة القابلة.

٣ - **الغسل**: ووقته مِن الفَجر إلى حين أداء صلاة العيد. ويستحبّ كذلك تحسينُ الثياب واستعمال الطِّيب.

٤ - **الإفطار**: الإفطار أوّل النَّهار قَبلَ صلاة العيد، والأفضل أن يفطر عَلى التَّمر أو عَلى شَيءٍ مِن الحلوى. وقالَ الشيخ المفيد يُستحبّ أن يبتلع شيئاً مِن تربة الحسين عليه السلام، فإنّها شفاءٌ من كلّ داء.

٥ - **دعاء وصلاة العيد**: عن الإمام الباقر عليه السلام، قالَ: «**أدْعُ في العيدَيْنِ وَالجُمُعَةِ إذا تَهَيَّأْتَ للخُروجِ بِهَذا الدُّعاء**: اللَّهُمَّ مَنْ تَهيَّأَ فِي هذا اليَوْمِ أَوْ تَعَبَّأَ أَوْ أَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ..» (مفاتيح الجنان، أعمال ليلة الجمعة).

صلاة العيد: وقتها من طلوع الشمس إلى الزوال، ولو فاتت لم تقضَ.

٦ - **زيارة الإمام الحسين عليه السلام**: (مفاتيح الجنان، زيارات الإمام المخصوصة)

٧ - **الدُّعاء**:

أ) أن تدعو بَعد فريضة الصُّبح بالدُّعاء الذي ورد في كتاب (الإقبال) وأوّله: «اللَّهُمَّ إنِّي تَوَجَّهتُ إليكَ بِمُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمامي..»

ب) قراءة دعاء النُّدبة. وقد لفت الشيخ التبريزي في (المراقبات) إلى مضامين هذا الدعاء ضمن أعمال يوم الفطر، قائلاً: «ثمّ يقرأ دعاء الندبة عن حضور القلب، فإنّ فيه من علم معاملته جلّ جلاله مع أنبيائه وأوليائه، وأدب معاملة الرعيّة مع الإمام، حظّاً كاملاً لأهل اليقظة».

اليوم الخامس والعشرون: شهادة الإمام الصادق عليه السلام

في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ١٤٨ للهجرة، كانت شهادة الإمام أبي عبد الله، جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، في المدينة المنوّرة عن خمسة وستّين عاماً. ويستحبّ زيارته عليه السلام في هذا اليوم، ويُمكن أن يزار بالزّيارة الجامعة، أو بزيارة أمين الله، أو زيارة أئمّة البقيع عليهم السلام، الواردة في (مفاتيح الجنان).

صلاة الإمام الصادق عليه السلام: ركعتان كل ركعة بـ (الفاتحة) مرة، وآية ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ مائة مرّة [سورة آل عمران: الآية ١٨]، ودعاؤه عليه السلام: «يا صانِعَ كُلِّ مَصْنُوعٍ، وَيا جابِرَ كُلِّ كَسِيرٍ، وَيا حاضِرَ كُلِّ مَلأٍ، وَيا شاهِدَ كُلِّ نَجْوى، وَيا عالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ، وَيا شاهِداً غَيْرَ غائِبٍ، وَيا غالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ، وَيا قَرِيباً غَيْرَ بَعِيدٍ، وَيا مُؤْنِسَ كُلِّ وَحِيدٍ، ويا مُحْيِيَ المَوْتى وَمُمِيتَ الأَحْياءِ القائِمَ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ، وَيا حَيّاً حِينَ لا حَيَّ، لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

موجز في التّفسير
سورةُ "الإنسان"

سليمان بيضون

*** السورة السادسة والسبعون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «الرحمن».**

*** سُمّيت بـ «الإنسان» لابتدائها بقوله تعالى بعد البسملة: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ..﴾.**

*** آياتها إحدى وثلاثون، وهي مدنيّة، مَنْ قرأها كان جزاؤه على الله جنّةً وحريراً ، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

*** ما يلي موجز في تفسير السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين) للشيخ عبد علي الحويزي رحمه الله، و(الميزان) للعلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله، و(الأمثل) للمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.**

للسورة أسماء عديدة، أشهرها: الإنسان، والدهر، وهل أتى، والأبرار، وهي مأخوذة من عبارات وردت فيها، وإن كانت الروايات الواردة في فضيلتها - كما سيأتي - سمّتها: «هل أتى» دون غيره من الأسماء.

هناك أقوال في أوساط المفسّرين حول مدنيّة هذه السورة أو مكّيتها، إلّا أنّ سبب نزولها أو على الأقلّ ما جاء في صدرها من آيات يؤكّد كونها مدنيّة. فقد نقل جمعٌ كثير من كبار العلماء من الشيعة والسنّة أنّ آيات السورة التي بدايتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾، قد نزلت في حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، في قصّة النذر المعروفة، والتي تضمّنت التصدّق بطعام الإفطار لثلاثة أيّام متوالية على المسكين واليتيم والأسير. ومعلوم أنّ ولادة الحسن والحسين عليهما السلام كانت في المدينة.

محتوى السورة

تذكر السورة خلْق الإنسان بعدما لم يكن شيئاً مذكوراً، ثمّ هدايته السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً، وأنّ الله اعتدّ للكافرين أنواع العذاب وللأبرار ألوان النعم، ثمّ تذكر مخاطبةً النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ القرآن تنزيل منه تعالى عليه وتذكرة، فليصبر لحكم ربّه ولا يتّبع الناسَ في أهوائهم، وليذكر اسم ربّه بُكرة وعشيّاً، وليَسجد له من الليل وليُسبّحه ليلاً طويلاً. ويمكن تقسيم السورة من حيث المحتوى المتقدم إلى خمسة أقسام:

الأوّل: يتحدّث عن إيجاد الإنسان وخَلْقه من نطفة أمشاج (مختلطة)، وكذلك عن هدايته وحرّيّة إرادته.

الثاني: يدور الحديث فيه عن جزاء الأبرار والصالحين، وسبب النزول الخاصّ بأهل البيت عليهم السلام.

الثالث: تكرار الحديث عن دلائل استحقاق الصالحين لذلك الثواب في عبارات قصيرة ومؤثّرة.

الرابع: يشير إلى أهمّيّة القرآن وسبيل إجراء أحكامه ومنهج تربية النفس الشاقّ.

الخامس: جاء الحديث فيه عن حاكمية المشيئة الإلهية (مع حاكمية الإنسان).

ثواب تلاوتها

* عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ (هَلْ أَتى) كانَ جَزاؤُهُ عَلى اللهِ جَنَّةً وَحَريراً**».

* وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: « **مَنْ قَرَأَ سورَةَ (هَلْ أَتى) في كُلِّ غَداةٍ خَميسٍ زَوَّجَهُ اللهُ مِنَ الحورِ العينِ.... وَكانَ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**».

تفسير آيات منها

قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ الآية:١.

* سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ فقال: «**كان شَيْئًا ولَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا**».

* وعنه عليه السلام في رواية أخرى قال: «**كانَ مَذْكوراً في العِلْمِ ولَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا في الخَلْقِ**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كانَ مُقَدَّراً غَيْرَ مَذْكُورٍ**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ..﴾ الآية:٢.

الإمام الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ قال: «**ماءُ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ اخْتَلَطا جَميعاً**».

[في اللغة: الأمشاج = الأخلاط]

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الآية:٣.

* الإمام الصادق عليه السلام: «**عَرَفْناهُ إمّا آخِذاً وَإمّا تارِكاً**».

* وعنه عليه السلام: «**إمّا آخِذٌ فَهُوَ شاكِرٌ، وَإمّا تارِكٌ فَهُوَ كافِرٌ**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الآية:٥.

الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام: «**كلُّ ما في كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِهِ: إنَّ الأَبْرارَ، فَواللهِ، ما أَرادَ بِهِ إلّا عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ وَفاطِمَةَ وَأَنا وَالحُسَيْنَ، لِأَنّا نَحْنُ أَبْرارٌ بِآبائِنا وَأُمَّهاتِنا، وَقُلوبُنا عَمِلَتْ بِالطّاعاتِ وَالبِرِّ، ومُبَرَّأَةٌ مِنَ الدُّنْيا وَحُبِّها، وَأَطَعْنا اللهَ في جَميعِ فَرائِضِهِ، وَآمَنّا بِوَحْدانِيَّتِهِ وَصَدّقْنا بِرَسولِهِ**».

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ الآية:٦.

الإمام الباقر عليه السلام: «**هِيَ عَيْنٌ في دارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ تُفَجَّرُ إلى دورِ الأَنْبِياءِ وَالمُؤْمِنينَ**».

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ الآية:٧.

الإمام الكاظم عليه السلام: «**يوفونَ للهِ بِالنَّذْرِ الّذي أُخِذَ عَلَيْهِمْ في الميثاقِ مِنْ وِلايَتِنا**».

قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الآية:١٣.

الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتانِ مِنْ آياتِ اللهِ يَجْريانِ بِأَمْرِهِ مُطيعانِ لَهُ، وَضَوْؤُهُما مِنْ نورِ عَرْشِهِ، وَحَرُّهُما مِنْ جَهَنَّمَ، فَإذا كانَتِ القِيامَةُ عادَ إلى العَرْشِ نورُهُما، وَعادَ إلى النّارِ حَرُّهُما فَلا يَكونُ شَمْسٌ وَلا قَمَرٌ**».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ الآية: ٢٠.

* سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما هذا المُلك الذي كبّر الله عزّ وجلّ حتى سمّاه كبيراً؟

فقال: «**إذا أَدْخَلَ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ أَرْسَلَ رَسولاً إلى وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيائِهِ فَيَجِدُ الحَجَبَةَ عَلى بابِهِ، فَتَقولُ لَهُ: قِفْ حَتّى نَسْتَأْذِنَ لَكَ، فَما يَصِلُ إلَيْهِ رَسولُ رَبِّهِ إلّا بِإِذْنٍ، فَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾**».

* وعنه عليه السلام في معنى الآية: «**لا يَزولُ وَلا يَفْنى**».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ الآية:٢٦.

سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن التسبيح في الآية فقال: «**صَلاةُ اللَّيْلِ**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ..﴾ الآية:٢٩.

الإمام الكاظم عليه السلام، في معنى (التذكرة)، قال: «.. **الوِلايَةُ**».

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ..﴾ الآية:٣١.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّريرَةِ الصّالِحَةِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ الجَنَّةَ**».

* الإمام الكاظم عليه السلام في معنى ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في الآية، قال: «**في وِلايَتِنا**».

عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«كلُّ ما في كتاب الله عزّ وجلّ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾... فوَاللهِ، ما أرادَ به إلا عليَّ بن أبي طالب، وفاطمة، وأنا، والحسين...»

الحُبّ

كلامٌ في معناه وتَعلُّقه بالله تعالى

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

القرآن الكريم برنامج الهداية الإلهية، والوصفة الشافية لأمراض الفرد والمجتمع، وهو يهَبُ معانيه السامية للمتدبّرين في آياته، المستعينين لذلك بنور الفطرة السليمة والعقل المنفتح على حقائق الوجود.

ما يلي، نموذجٌ راقٍ للتدبّر في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة:١٦٥، **اخترناه من الجزء الأول من (تفسير الميزان) للعلّامة الطباطبائي رضوان الله عليه.**

هناك عدّة نكات تجدر ملاحظتها عند التدبّر في هذه الآية، ومنها:

أوّلًا: التعبير بلفظ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾، فإنّ فيه دلالة على أنّ المراد بالأنداد ليس هو الأصنام فقط، بل يشمل الملائكة، وأفراداً من الإنس الذين اتّخذهم الناس أرباباً من دون الله تعالى، بل يعمّ كلّ مُطاع من دون الله من غير أن يأذن اللهُ في إطاعته، كما يشهد به ما في الآية التالية من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ..﴾ البقرة:١٦٦.

وكما قال تعالى: ﴿..وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾ آل عمران:٦٤.

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾ التوبة:٣١.

المراد بحبّ الله أعم من «إطاعة أمره» سبحانه

ثانياً: وفي الآية دليل على أنّ الحبّ يتعلّق بالله تعالى حقيقة، خلافاً لمن قال:

«* أنّ الحبّ - وهو وصف شهوانيّ - يتعلّق بالأجسام والجسمانيات، ولا يتعلّق به سبحانه حقيقة.

* وأنّ معنى ما ورد من الحبّ له تعالى، هو الإطاعة بالائتمار بالأمر والانتهاء عن النهي، تجوّزاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ..﴾ آل عمران:٣١».

فالآية حجّة عليهم، فإنّ قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ يدلّ على أنّ حبّه تعالى يقبل الاشتداد، وهو في المؤمنين أشدّ منه في المُتّخذين لله أنداداً، ولو كان المراد بالحبّ هو الإطاعة مجازاً، كان المعنى: «والذين آمنوا أطوعُ لله»، ولم يستقم معنى التفضيل، لأنّ طاعة غيرهم ليست بطاعة عند الله سبحانه، فالمراد بالحبّ معناه الحقيقي.

ويدلّ عليه أيضاً - أي على تعلّق الحبّ به سبحانه - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ..﴾ إلى قوله ﴿..أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ..﴾ التوبة:٢٤، فإنّه ظاهر في أنّ الحبّ المتعلّق بالله، والحبّ المتعلّق برسوله، والحبّ المتعلّق بالآباء والأبناء والأموال، وغيرها، جميعاً من سنخ واحد، لمكان قوله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾، وأفعل التفضيل يقتضي اشتراك المفضّل والمفضّل عليه في أصل المعنى، واختلافهما من حيث الزيادة والنقصان.

اقتفاء الأثر من ثمرات الحبّ

ثالثاً: إنّه تبارك وتعالى ذَمَّ في الآية المتّخذين للأنداد، بقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، ثمّ مدح المؤمنين بأنّهم ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ سبحانه، فدلّ التقابلُ بين الفريقين على أنّ ذمّهم إنّما هو لتوزيعهم المحبّة الإلهية بين الله وبين الأنداد الذين اتّخذوهم أنداداً. وهذا، وإن كان بظاهره يمكن أن يُستشعر منه أنّهم لو وضعوا له سبحانه سهماً أكثر لم يُذمّوا على ذلك، لكن آخر الآية ينفي ذلك، فإنّ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ البقرة:١٦٦،

وقوله: ﴿..كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ ..﴾ البقرة:١٦٧، يشهد بأنّ الذمّ لم يتوجّه إلى الحبّ من حيث أنّه حبّ، بل من جهة لازمِه الذي هو الاتّباع، وكان هذا الاتّباع منهم لهم لِزَعمِهم أنّ لهم – أي للأنداد – قوّة يتقوّون بها لجلب محبوب أو دفع مكروه عن أنفسهم، فتركوا بذلك اتّباع الحقّ من أصله أو في بعض الأمر، وليس مَن اتّبع الله في بعض أمره دون بعض بمتّبعٍ له، وحينئذٍ يندفع الاستشعار المذكور، ويظهر أنّ هذا الحبّ يجب أن لا يكون لله فيه سهيم وإلّا فهو الشرك، واشتداد هذا الحبّ ملازمٌ لحصر الاتّباع وقَصره على أمر الله، ولذلك مدَح المؤمنين بذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾.

حبّ النبيّ والوصيّ من مصاديق حبّ الله

رابعاً: وإذ كان هذا المدح والذمّ متعلّقاً بالحبّ من جهة أثره، الذي هو الاتّباع، فلو كان الحبّ للغير بتعقيب إطاعة الله تعالى في أمره ونهيه لكون الغير يدعو إلى طاعته تعالى – ليس له شأنٌ دون ذلك – لم يتوجّه إليه ذمٌّ البتّة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ ..﴾ إلى قوله ﴿..أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ..﴾ التوبة:٢٤، فقرّر لرسوله حبّاً كما قرّره لنفسه، لأنّ حبّه عليه السلام حبُّ الله تعالى، فإنّ أثره – وهو الاتّباع – عينُ اتّباع الله تعالى: فإنّ الله سبحانه هو الداعي إلى إطاعة رسوله والآمر باتّباعه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ..﴾ النساء:٦٤، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ..﴾ آل عمران:٣١، وكذلك اتّباعُ كلّ من يهتدي – العبد – إلى الله باتّباعه؛ كعالِم يهدي بعلمه، أو آيةٍ تُعين بدلالتها، وقرآن يقرّب بقراءته، ونحو ذلك، فإنّها كلّها محبوبة بحبّ الله، واتّباعها تُعدُّ طاعةً مقرّبة إليه سبحانه.

تلخيص ما تقدّم

فقد بان بهذا البيان:

أنّ مَن أحبّ شيئاً من دون الله ابتغاء قوّةٍ فيه، فاتّبعه في تسبيبه – أي اتخذه أو اعتقده سبباً من دون الله – إلى حاجة ينالها منه، أو اتّبعه بإطاعته في شيء لم يأمر الله به، فقد اتّخذ من دون الله أنداداً وسيُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وأنّ المؤمنين هم الذين لا يحبّون إلّا الله، ولا يبتغون قوّة إلّا من عند الله، ولا يتّبعون غير ما هو من أمر الله ونَهيه، فأولئك هم المخلصون لله ديناً.

وبان أيضاً أنّ حُبّ مَن حبُّه مِن حبّ الله، واتّباعُه اتّباعُ الله، كالنبيّ وآله صلوات الله عليهم، والعلماء بالله، وكتاب الله وسنّة نبيّه، وكلّ ما يذكر الله بوجه إخلاصٍ لله، ليس من الشرك المذموم في شيء، والتقرّب بحبّه واتّباعه تقرّب إلى الله، وتعظيمه بما يُعَدّ تعظيماً هو من تقوى الله، قال تعالى: ﴿..وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ الحج:٣٢، والشعائر هي العلامات الدالّة، ولم يقيّد بشيء مثل الصفا والمروة وغير ذلك، فكلّ ما هو من شعائر الله وآياته وعلاماته المذكّرة به، فتعظيمه من تقوى الله وتشمله جميع الآيات الآمرة بالتقوى.

نعم، لا يخفى لذي مسكة أنّ إعطاء الاستقلال لهذه الشعائر والآيات في قبال الله، واعتقاد أنّها تملك لنفسها أو غيرها نفعاً أو ضرّاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً، إخراجٌ لها عن كونها شعائر وآيات، وإدخالٌ لها في حيّز الألوهيّة وشرك بالله العظيم، والعياذ بالله تعالى.

حبُّ رسول الله ﷺ

عينُ حبِّ الله تعالى،

واتّباعُه عينُ اتّباعه

سبحانه، وتعظيمُه

صلّى الله عليه وآله

من تقوى القلوب

تحريرُ القرآن للعقول

الشهيد السيد محمّد باقر الحكيم رحمه الله

من جملة ما أُلِّف للتعرّف إلى علوم القرآن الكريم، وحاز قَصْب السبق في عصرنا الحاضر، هو كتاب (علوم القرآن) الذي كتب شطراً منه المرجعُ الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، ثمّ أكمله تلميذه اللاحق بركب الشهداء المظلومين السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله تعالى.

وقد رُوعي في هذا الكتاب العمق، ووضوح العرض، والمنهجية في الطرح. ومنه كانت هذه المقالة:

كانت الأساطير والخرافات شائعةً بين العرب، نظراً لانخفاض مستواهم الفكري وأُمّيتهم بصورة عامّة، فكانوا يعتقدون - مثلاً - أنّ نفس الإنسان طائرٌ ينبسطُ في جسم الإنسان، فإذا ما مات أو قُتل يكبر هذا الطائر حتّى يصيرَ في حجم طائر البُوم، ويبقى أبداً يصرخ ويتوحّش ويسكن في الديار المعطّلة والمقابر، ويسمّونه «**الهام**».

كما كانوا يعتقدون بـ«الغِيلان» ويؤمنون بأساطيرها، ويزعمون أنّ الغول يتغوّل لهم في الخلَوات، وكانت لهم أبياتٌ من الرَّجَز يتناقلون حفظَها، ويعتقدون أنّ فائدتها هي طرد الغيلان إذا اعترضتهم في طريقهم وأسفارهم، إلى غير ذلك من العقائد الخرافية التي كانوا يؤمنون بها.

وقد جاء القرآن الكريم برسالة الاسلام، فحارب تلك العقائد والخرافات، ومحا تلك الأوهام عن طريق تنوير عقول العرب والدعوة إلى التفكير الأصيل، والتدبّر والاعتماد على العقل، والمطالبة برفض التقليد، وعدم الجمود على تراث السلف، بدون تمحيص أو تحقيق.

وقد أدّت هذه الدعوة من القرآن الكريم إلى تعريض كلّ الأفكار السابقة والموروثة إلى الامتحان من جديد في ضوء المنطق، والعقل، وعلى هُدى الإسلام، فأسفر ذلك عن اضمحلال تلك الخرافات، وزوال تلك العقائد الجاهليّة، وتحرُّر العقول من قيودها، وانطلاقها في طريق التفكير السليم.

الدعوة إلى التأمّل في أسرار الكون

وقد حثّ القرآن الكريم، بصورة خاصّة، على التفكير في الكون، والتأمّل في أسراره، واكتشاف آيات الله المنتشرة فيه؛ ووَجَّه الإنسانَ هذه الوجهة الصالحة بدلاً من التشاغل بخرافات الماضين وأساطيرهم:

- ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ .. ﴾ يونس:١٠١.
- ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ العنكبوت:٢٠.
- ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج:٤٦.
- ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ الغاشية:١٧-٢٠.

ولم يكتفِ القرآن بالحثّ على دراسة الكون وما فيه من أسرار، بل ربط ذلك بالإيمان بالله، وأعلن أنّ العلم هو خير دليل للإيمان به تعالى، وأنّ الإيمان يتأكّد كلّما ازدادَ اكتشافُ الإنسانِ العلمَ وتَقدُّمُهُ في ميادينه، لأنّه يطّلع على عظيم آيات الله، وحكيم صنعه وتدبيره، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ فصلت:٥٣.

وبذلك أعطى القرآن مفهوم مواكبة الإيمان للعلم، وأنّ العقيدة بالله تتماشى مع العلم على خطٍّ واحد، وأنّ اكتشاف الأسباب والقوانين في هذا الكون يعزّز هذه العقيدة؛ حيث إنّه يكشف عن عظيم حكمة الصانع وتدبيره.

وعلى أساس هذا الموقف القرآني، وما رفضه من التقليد، وما شجّع عليه من التفكير والتدبّر، كانت الأمّة التي صنعها الكتاب الكريم مصدرَ العلم والثقافة في العالم، بدلاً من خرافات البوم والغيلان، حتّى اعترف المؤرّخون الأوروبيّون بهذه الحقيقة أيضاً، فقال المؤرّخ الهولندي رينهارت دوزي: «إنّ النبيّ جمع قبائل العرب أمّة واحدة رفعتْ أعلام التمدّن في أقطار الأرض، وكانوا في القرون المتوسّطة مختصّين بالعلوم، من بين سائر الأمم، وانقشعتْ بسببهم سحائبُ البربريّة التي امتدّت إلى أوروبا».

مناسبات شهر شوّال

إعداد: «شعائر»

١ شوّال

عيد الفطر المبارك.

٤ شوّال/ ٨ هجريّة

غزوة حُنين. (قيل في العاشر منه)

٥ شوّال

* ٣٦ هجريّة: خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صِفّين.

٨ شوّال/ ١٣٤٤ هجريّة

الوهّابيّون يهدمون أضرحة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، المدفونين في البقيع.

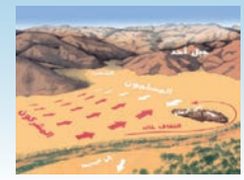

١٥ شوّال

* ٣ هجريّة: معركة أُحُد.
* ٥ هجريّة: غزوة الأحزاب أو الخندق.

١٩ شوّال/ ١٦٩ هجريّة

سَجْنُ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمرٍ من هارون العبّاسيّ.

٢٠ شوّال/ ١٠ هجريّة

وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

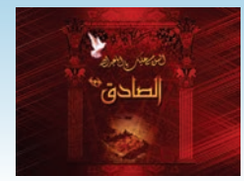

٢٥ شوّال/ ١٤٨ هـجريّة

شهادة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام.

أبرز مناسبات شهر شوّال

تُقدّم «شعائر» مقتطفات من عدّة مصادر ترتبط بأبرز مناسبات شهر شوّال، كمَدخل إلى حُسن التفاعل مع أيّامه الإلهيّة، مع الحرص على عناية خاصة بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

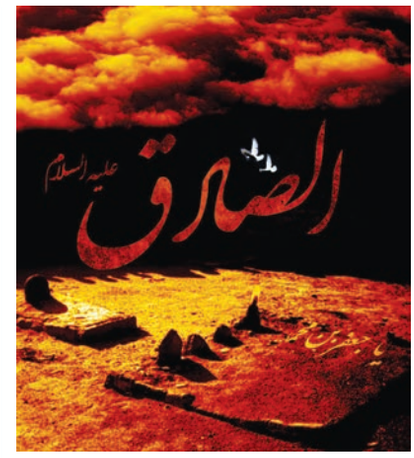

اليوم الأوّل: عيد الفطر السّعيد

* «لقد شاء الله أن لا تنتهي الشعائر البديعة لهذا الشهر ببساطة، وإنّما جعل في ختام هذا الشهر يوماً لِيكون عيداً يجتمع فيه الناس، وجعله يوماً عظيماً ومباركاً يُهنّئ فيه المسلمون بعضهم بعضاً، وهو يوم عيد الفطر، وإن كان في حقيقته عيداً، غير أنّه في الوقت ذاته يوم عبادة وتوسّل وذكر؛ فاعرفوا قدر هذا اليوم وعظّموه، واغتنموا فيه ما ادّخرتم من التقوى.

* ويوم الفطر هو اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان بدء مسيرته على الصراط الإلهيّ المستقيم واجتناب السُّبُل المنحرفة بفضل ما تزوّده في شهر رمضان. عيد الفطر يوم استلام الأجر ومشاهدة الرحمة الإلهيّة بعد شهر رمضان».

(من كلمات السيد القائد علي الخامنئي دام ظلّه)

اليوم الخامس والعشرون: شهادةُ الإمام الصّادق عليه السلام

«إنّ من العجب أن يبلغ طلب الدنيا بالعبد المخلوق من التراب والنطفة؛ الماء المهين، إلى معاندة ربّ العالمين في الإقدام على قتل مولانا الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليه، بعد تكرار الآيات الباهرات، حتّى يكرّر إحضاره للقتل سبع دفعات. ومن العجب المستطرف المستغرب أنّ المنصور يرى هذه الآيات والمعجزات والكرامات للصادق صلوات الله عليه، فلمّا بلغته وفاته بكى عليه وأمر بقتل مَن أوصى إليه، على ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب (الحجّة)، في باب النصّ على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قد ذكر بإسناده عن داود بن زربي عن أبي أيوّب الجوزيّ، قال:

بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصورُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَأَتَيْتُه فَدَخَلْتُ عَلَيْه وهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ، وبَيْنَ يَدَيْه شَمْعَةٌ وفِي يَدِه كِتَابٌ، قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْه رَمَى بِالْكِتَابِ إِلَيَّ وهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لِي: هَذَا كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ يُخْبِرُنَا أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ، ثَلَاثاً، وأَيْنَ مِثْلُ جَعْفَرٍ؟

ثُمَّ قَالَ لِي: اكْتُبْ، قَالَ: فَكَتَبْتُ صَدْرَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ إِنْ كَانَ أَوْصَى إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ بِعَيْنِه فَقَدِّمْهُ واضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْه الْجَوَابُ أَنَّه قَدْ أَوْصَى إِلَى خَمْسَةٍ وَاحِدُهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، ومُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وعَبْدُ الله، ومُوسَى، وحَمِيدَةُ».

(مهج الدعوات، السيّد ابن طاوس)

الثامن من شوّال: الذكرى السنوية لجريمة الوهّابيّين النواصب في هدم مقامات الأئمّة المعصومين عليهم السلام في البقيع

اليوم التّاسع عشر: سَجْنُ الإمام الكاظم عليه السلام

عن ابن أبي نجران، قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام [الإمام الكاظم] يقول:

مَنْ عَادَى شِيعَتَنَا فَقَدْ عَادَانَا، وَمَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَانَا، لِأَنَّهُمْ مِنَّا خُلِقُوا مِنْ طِينَتِنَا؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ مِنَّا وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَلَيْسَ مِنَّا.

شِيعَتُنَا يَنْظُرُونَ بِنُورِ اللهِ، وَيَتَقَلَّبُونَ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَيَفُوزُونَ بِكَرَامَةِ اللهِ، مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ شِيعَتِنَا يَمْرَضُ إِلاَّ مَرِضْنَا لِمَرَضِهِ، وَلاَ اِغْتَمَّ إِلاَّ اغْتَمَمْنَا لِغَمِّهِ، وَلاَ يَفْرَحُ إِلاَّ فَرِحْنَا لِفَرَحِهِ، وَلاَ يَغِيبُ عَنَّا أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا أَيْنَ كَانَ فِي شَرْقِ الأَرْضِ أَوْ غَرْبِهَا. وَمَنْ تَرَكَ مِنْ شِيعَتِنَا دَيْناً فَهُوَ عَلَيْنَا وَمَنْ تَرَكَ مِنْهُمْ مَالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ.

شِيعَتُنَا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَيَصُومُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَيُوَالُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَتَبَرَّأُونَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ [مِنْ أَعْدَائِنَا]، أُولَئِكَ أَهْلُ الإِيمَانِ وَالتُّقَى وَأَهْلُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى؛ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللهِ، وَمَنْ طَعَنَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ طَعَنَ عَلَى اللهِ، لِأَنَّهُمْ عِبَادُ اللهِ حَقّاً وَأَوْلِيَاؤُهُ صِدْقاً، وَاللهِ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَشْفَعُ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ فَيُشَفِّعُهُ اللهُ فِيهِمْ لِكَرَامَتِهِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ».

(صفات الشيعة، الشيخ الصدوق)

اليوم الثّامن: هدمُ أضرحة الأئمّة عليهم السلام المدفونين في البقيع

«يعتبر الثامن من شوّال سنة ١٣٤٣ للهجرة، ذكرى الفاجعة الكبيرة، ألا وهي هدم وتخريب المراقد الطاهرة لأربعة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، والموجودة في جنّة البقيع، بأيدي أعتى الفرق الضالّة، وهي فرقة الوهّابيّة. فقد نهبوا كلّ ما فيها من نفائس وأشياء ثمينة.

وبالإضافة إلى المراقد المطهّرة، فقد خرّبوا قبوراً أخرى؛ قبر فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وقبر أمّ البنين عليها السلام، وقبر إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقبر إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقبر حليمة السعديّة مرضعة النبيّ صلّى الله عليه وآله، وقبر حمزة عليه السلام، مع الشهداء في أحد. وضربوا قبّة الرسول بقذيفة، لكنّهم خافوا المسلمين، فلم يهدموا القبر.

وفي مكّة المكرّمة خرّبوا قباب عبد المطّلب، وأبي طالب، وخديجة، ومكان مولد الرسول والزهراء عليهم السلام، وساووها بالأرض.

وفي جدّة خرّبوا قبر أمّنا حواء وقبوراً أخرى. وكذلك قبّة ومرقد عبد الله وآمنة أبوي الرسول صلّى الله عليه وآله».

(تقويم الشيعة، النيشابوري)

اليوم الخامس عشر: معركة أُحُد

«لمّا انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام، في معركة أُحد، جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: **يا رَسولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُقاتِلُ بِالسِّلاحِ، وَقَدِ انْقَطَعَ سَيْفي**، فدفع إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار، فقال: **قاتِلْ بِهَذا**، ولم يكن يحمل على رسول الله صلّى الله عليه وآله أحد إلّا استقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا.

فانحاز رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ناحية أحد، فوقف، وكان القتال من وجهٍ واحد، وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه، «..» فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **يا مُحَمَّدُ هَذِهِ، وَاللهِ، الْمُواساةُ**، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لِأَنّي مِنْهُ وَهُوَ مِنّي**، فقال جبرئيل: **وَأَنا مِنْكُما.**

وبقيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نُسيبة بنت كعب المازنيّة، وكانت تخرج مع رسول الله عليه السلام في غزواته تداوي الجرحى، وكانت تقي رسول الله صلّى الله عليه وآله بصدرها حتّى أصابتها جراحات كثيرة، وهي ممّن قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله، يوم أحُد: **لَمَقامُ نُسَيْبَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَقامِ فُلانٍ وَفُلانٍ** [الذين فرّوا من أرض المعركة]».

(البحار، العلامة المجلسي)

الإسلام

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ..﴾

إعداد: «شعائر»

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ..﴾ آل عمران:١٩، فكيف عرّف أهل بيت النبوّة عليهم السلام، الإسلامَ، ومن هو المسلم؟ في ما يلي أحاديث شريفة في تعريف الإسلام وصفات المسلم، يليها شرح لرواية عن الإمام الباقر عليه السلام في بعض صفات المسلم والمؤمن.

عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام، في قَوْلِ الله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ..﴾ البقرة:١٣٨، قَالَ: «**الصِّبْغَةُ هِيَ الإِسْلَامُ**».

ما هو الإسلام؟

* أمير المؤمنين عليه السلام: «..**إِنّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمَ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينَ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقَ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارَ هُوَ الْعَمَلُ، وَالْعَمَلَ هُوَ الْأَدَاءُ**..».

* وعنه عليه السلام: «**إِنَّ هَذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، واصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ وخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ**».

* عَنْ سُفْيَانَ بْنِ السَّمْطِ قَالَ: «سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ الله (الصادق) عليه السلام عَنِ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ، مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا، فقال له: **الإِسْلَامُ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحِجُّ الْبَيْتِ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَهَذَا الإِسْلَامُ**، وَقَالَ: **الإِيمَانُ مَعْرِفَةُ هَذَا الْأَمْرِ مَعَ هَذَا، فَإِنْ أَقَرَّ بِهَا وَلَمْ يَعْرِفْ هَذَا الْأَمْرَ، كَانَ مُسْلِماً وَكَانَ ضَالًّا**».

* قَالَ القاسم الصيرفي: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ (الصادق) عليه السلام، يَقُولُ: **الإِسْلَامُ يُحْقَنُ بِهِ الدَّمُ، وتُؤَدَّى بِهِ الأَمَانَةُ، وَتُسْتَحَلُّ بِهِ الفُرُوجُ، وَالثَّوَابُ عَلَى الإِيمَانِ**».

ومن هو المسلم؟

عن سليمان بن خالد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «**يَا سُلَيْمَانُ أَتَدْرِي مَنِ الْمُسْلِمُ؟** قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**، ثُمَّ قَالَ: **وتَدْرِي مَنِ الْمُؤْمِنُ؟** قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: **إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنِ ائْتَمَنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والْمُسْلِمُ حَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَه، أَوْ يَخْذُلَه، أَوْ يَدْفَعَه دَفْعَةً تُعَنِّتُه**».

قال العلماء

* «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»: أي من شرّه، وإنّما خصّ اليد واللسان بالذكر لأنهما أظهر الجوارح في الكسب، وليس المقصود حصرَ المسلم على الموصوف بالصفة المذكورة، ونفيَ الإسلام عن غيره، لأنّ المعنى على الفضل والكمال لا على الحصر.

* «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنِ ائْتَمَنَه الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ**»: لأنّه عُرف بالأمانة والديانة والصلاح وكمال الإيمان بالتجربة، واشتُهر بها حتى صار أميناً عندهم في أموالهم وأنفسهم .

«**أَوْ يَدْفَعَه دَفْعَةً تُعَنِّتُه**»: كأنّ المراد: يدفعُه عن خير ويردّه إلى شرٍّ يوجب عنَتَه، وهو الفساد، والإثم، والمشقّة، والشدّة، والعناء، والهلاك، والوهي، والانكسار، والخطاء.

(شرح أصول الكافي، المازندراني)

حكمُها الرجوع إلى المتعارف

الوسوسة في الطهارة

إعداد: «شعائر»

يُجمِع الفقهاء على وجوب إهمال الوسوسة في العبادات، أو في مقدّماتها. والوسوسة في طهارة الأجسام ونجاستها من الموارد التي يُبتلى بها بعض المؤمنين؛ سواء تعلّق ذلك بطهارة البدن أو اللباس، أو سائر اللّوازم المحيطة بالإنسان.

* يقول الفقيه الراحل الشيخ محمّد أمين زين الدين قدّس سرّه في رسالته العمليّة (كلمة التقوى): «لا يجبُ على الوسواسيّ تحصيلُ العلم بالطهارة، ولا يُعتمَد على قوله في النجاسة، بل يرجع إلى المُتعارف عند المتشرّعة في إزالة النجاسات والتطهير منها».

* وفي (استفتاءات) المرجع الديني الكبير آية الله السيّد علي السيستاني دام ظلّه، قال: «لا فرقَ بين الوسواسيّ وغيره في الوظيفة الشرعيّة، فالتكليفُ واحد، وعلى الوسواسيّ أن ينتهج الأسلوب المُتعارف عند الناس في التطهير، ولا يلزم أن يحصل له العلم بزوال النجاسة».

ويؤكّد سماحته في موضع آخر من استفتاءاته: «إذا كانت الوسوسة موجِبة لترك واجب (كالصلاة في وقتها)، أو فِعل حرام (كالإسراف) فلا يجوز الاعتناء بها».

* أما وليّ أمر المسلمين الإمام السيّد عليّ الخامنئي دام ظلّه، فقد لخّص في ستّ نقاط طريقة التخلّص من هذه الآفة المهلكة. جاء كلامه ردّاً على استفتاء من إحدى المؤمنات تشرح فيه معاناتها من الوسوسة في الطهارة والنجاسة، لا سيّما أنّها أُمّ لأولاد صغار، تجهد في رعاية طهارة أبدانهم، حتّى بلغ بها الأمر أن تحترز من غبار الأجسام النجسة.

قال سماحته:

١) في باب الطهارة والنجاسة، الأصلُ هو الطهارة في نظر الشرع المقدّس، يعني في أيّ موضع يحصل لكِ أقلّ ترديد في حصول النجاسة فالواجب أن تحكمي بعدم النجاسة.

٢) الذين لديهم حساسية نفسيّة شديدة في أمر النجاسة (ومثل هذا يسمّونه وسواسياً في إصطلاح الفقه الإسلاميّ) حتّى إذا تيقّنوا بالنجاسة في بعض الموارد يجب عليهم أن يحكموا بعدم النجاسة، بإستثناء الموارد التي يشاهدون حصول التنجّس بأعينهم، بحيث إذا رآه أيّ شخص آخر يجزم بسراية النجاسة، ففي مثل هذه الموارد فقط يجب أن يحكموا بالنجاسة. وهذا الحكم مستمرّ بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص حتى ترتفع الحساسية المذكورة كلّياً.

٣) كلّ شيء، أو أيّ عضوٍ يتنجّس، يكفي في تطهيره، بعد زوال عين النجاسة غَسله مرّة واحدة فقط من ماء الأنبوب، ولا يجب التكرار في الغَسل، أو الوضع تحت الماء، وإذا كان ذلك الشيء المُتنجّس من القماش وأمثاله يُعصَر بالمقدار المتعارف حتّى يخرج منه الماء.

٤) وبما أنكِ مبتلاةٌ بنفس تلك الحساسية الشديدة في مقابل النجاسة فاعلمي أنّ الغبار النجس ليس نجساً في أية صورة بالنسبة إليكِ، ومراقبة يد الطفل الطاهرة، أو النجسة غير لازمة، ولا يلزم التدقيق في أنّ الدم زال عن البدن أم لا، وهذا الحكم باقٍ بالنسبة إليك إلى أن تزول منكِ هذه الحساسية كلّياً.

٥) الدين الإسلامي لديه أحكام سهلة وسمحاء، ومنسجمة مع الفطرة البشريّة فلا تُعسّريها عليكِ، ولا تُلحقي الضرر والأذى بجسمكِ وروحك من جرّاء ذلك، وحالة القلق والاضطراب في هذه الموارد تُضفي المرارة على الأجواء الحياتيّة، وإنّ الباري، عزّ اسمه، غير راضٍ عن عذابك وعذاب من ترتبطين معهم، أُشكري نعمة الدين السهل، وشُكر تلك النعمة عبارة عن العمل طبقاً لتعليماته تعالى.

٦) هذه الحالة حالة عابرة وقابلة للعلاج، وكثيرٌ من الأشخاص بعد الابتلاء بها استراحوا منها بالعمل وفقاً للتدريب المذكور، توكّلي على الله تعالى، وأريحي نفسكِ بالهمّة والإرادة.

لا يستقيمُ القلب إلا باستقامته

اللّسان أخطرُ الجَوارح

الفقيه الشيخ محمّد مهدي النراقي* رحمه الله

اعلم أنّ أكثر الرذائل؛ من الكَذِب، والغِيبة، والبُهتان، والشَّماتة، والسُّخرية، والمزاح وغيرها، والتكلّم بما لا يعني، والفضول، والخوض في الباطل، من آفات اللسان، وهو أضَرُّ الجوارح بالإنسان، وأعظمها إهلاكاً له، وآفاته أكثر من آفات سائر الأعضاء.

وهي (أي الرذائل المذكورة آنفاً) وإن كانت من المعاصي الظاهرة، إلّا أنّها تؤدّي إلى مساوئ الأخلاق والملَكات؛ إذ الأخلاق إنّما ترسخ في النفس بتكرير الأعمال، والأعمال إنّما تصدر من القلب بتوسّط الجوارح، وكلّ جارحة تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنة الجالبة للأخلاق الجميلة، وأن تصدر منها الأعمال القبيحة المورِثة للأخلاق السيئة، فلا بدّ من مراعاة القلب والجوارح معاً بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من الشرور.

وعمدة ما تصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدّية إلى الرذائل الباطنيّة هو اللّسان، وهو أعظم آفة للشيطان في استغواء نوع الإنسان، فمراقبته أهمّ، ومحافظته أوجب وألزم.

والسرّ فيه - كما قيل: إنّه من نعم الله العظيمة، ولطائف صُنعه الغريبة، فإنّه وإنْ كان صغيراً جِرمُه، عظيمٌ طاعته وجُرمُه، إذ لا يتبيّن الإيمان والكفر إلا بشهادته، ولا يُهتدى إلى شيءٍ من أمور النشأتَين إلا بدلالته، وما من موجودٍ أو معدومٍ إلا وهو يتناوله ويتعرّضُ له بإثباتٍ أو نفي، إذ كلّ ما يتناوله العِلمُ يعبّر عنه اللسان إما بحقٍّ أو باطل، ولا شيء إلا والعلمُ يتناوله.

وهذه خاصيّة لا توجد في سائر الأعضاء؛ إذ العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والأذُن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء، واللسان رحب الميدان وسيعُ الجَولان، ليس له مردّ، ولا لمجاله منتهى ولا حدّ.

فمَن أطلق عَذَبة اللّسان (العذَبَة: طرَفُ الشيء) وأهملَه مَرخيّ العنان، سلك به الشيطان في كلّ ميدان، وأوقعه في أودية الضلالة والخِذلان، وساقه إلى شفا جُرُفٍ هارٍ، إلى أن يضطرّه إلى الهلاك والبوار، ولذلك قال سيّد الرُّسل صلّى الله عليه وآله: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**».

فلا يُنجي من شرّ اللسان إلا أن يُقيَّد بلِجام الشرع، ولا يُطلَق إلا فيما ينفع في الدنيا والآخرة، ويُكَفّ عن كل ما يُخشى غائلته في العاجلة والآجلة. والآيات والأخبار الواردة في ذمّه وفي كثرة آفاته، وفي الأمر بضبطه والتحذير منه كثيرة، وهي بعمومها تدلّ على ذمّ جميع آفاته.

قال الله سبحانه: ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾. [ق: ١٨]

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**».

وقال صلّى الله عليه وآله: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الأَعْضاءُ كُلُّها تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**». (التكفير هنا بمعنى الخضوع والإقرار بالسيادة)

وقال صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ لَمْ يَحْسِبْ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، كَثُرَتْ خَطاياهُ وَحَضَرَ عَذابُهُ**».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لرجلٍ يتكلّم بفضول الكلام: «**يا هَذا! إِنَّكَ تُمْلِي عَلى حافِظَيْكَ كِتاباً إِلَى رَبِّكَ، فَتَكَلَّمْ بِما يَعْنيكَ، وَدَعْ ما لا يَعْنيكَ**».

* مختصَر عن كتابه (جامع السعادات)

الملف

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

سادسُ الأسباط الاثنَي عشر عليهم السلام

اقرأ في الملف

استهلال	من الصّلوات الكبيرة المرويّة عن الإمام العسكريّ عليه السلام
قبساتٌ من سيرة سادس أئمّة المسلمين	الفقيه المُحدّث الشيخ عباس القمّي رحمه الله
نُبذة يسيرة مما أُثِر عن الإمام الصادق عليه السلام	العلامة المحقّق عليّ بن عيس الإربلي رحمه الله
المواجهة السياسية عند الإمام الصادق عليه السلام	الإمام السيد علي الخامنئي دام ظلّه
مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع عمرو بن عبيد المعتزلي	رواية الشيخ الكليني

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: من اليقين:

استهلال

... عليك بالدعاء

عَنْ فضيل بنْ عُثمان، قال: قُلتُ لهُ -أي للإمام الصادق عليه السلام -

أوصني! فقال عليه السلام:

أوصيكَ بتقوى الله، وصدقِ الحديث،

وأداء الأمانة، وحُسن الصحابة "الصُحبة" لمن صحبك.

وإذا كانَ قبلَ طلوعِ الشمس وقبلَ الغروب

فعليكَ بالدُعاء!

واجتهد، ولا تمتنع بشيءٍ تطلبهُ من ربك

ولا تقل: هذا ما لا أُعطاه. وادعُ فإن الله يفعل ما يشاء.

الكوفي الأهوازي، الزهد

أنا ابنُ أَعراقِ الثَّرى

قبساتٌ من سيرة سادس أئمّة المسلمين

■ الفقيه المُحدّث الشيخ عباس القمّي رحمه الله

* كتاب (الأنوار البهية في تواريخ الحُجج الإلهية) للفقيه المحدّث الشيخ عبّاس القمّي المتوفّى سنة ١٣٥٩ للهجرة (١٩٤٠م) يعدّ من المصادر المُهمّة في سيرة المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين.

رتّبه المؤلف - وهو صاحب المصنّفات المشهورة مثل (سفينة البحار)، و(الكُنى والألقاب)، و(مفاتيح الجنان)، وغيرها - على أربعة عشر نوراً؛ بعدد المعصومين عليهم السلام.

يتضمّن هذا المقال مختصر ما ورد تحت عنوان «النور الثامن»، وهو في سيرة الإمام أبي عبد الله، جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، وفيه بعض ما يرتبط بولادته وشهادته عليه السلام، وطرفاً من مناقبه، وشواهد علمه الإلهيّ، وأحواله مع حكّام عصره.

«شعائر»

النور الثامن: الإمام السادس، ينبوع العلم ومعدن الحكمة واليقين، مولانا أبو عبد الله، جعفر بن محمّد الصادق الأمين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين.

وُلد، عليه السلام، بالمدينة المنوّرة يوم الاثنين، سابع عشر من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وهو اليوم الذي وُلد فيه النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو يوم شريف عظيم البركة، ولم يزل الصالحون من آل محمّد عليهم السلام، من قديم الأيام يعظّمون حقّه، ويرعون حرمته؛ وفي صومه فضل كبير وثواب جزيل، ويستحبّ فيه الصدقة وزيارة المشاهد المشرّفة، والتطوّع بالخيرات، وإدخال المسرّة على أهل الإيمان.

أعلمُ الناس باختلاف الناس

* قال السيد الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار)، في أحوال أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ما هذا لفظه: «ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عند الحاسب، ويحار في أنواعها فهمُ اليقِظ الكاتب. روى عنه جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنَس، والثوريّ، وابن عُيَينة، وأبي حنيفة، وأيوب السجستاني، وغيرهم».

* وقال شيخنا المفيد رحمه الله: «.. ونقل الناس عنه -أي عن الإمام الصادق عليه السلام - من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلاد، ولم يُنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقيَ أحدٌ منهم من أهل الآثار ونقَلَة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل».

* وذُكر عن بعض علماء المخالفين أنهم كانوا من تلامذته ومن خَدَمه وأتباعه والآخذين عنه، كأبي حنيفة، ومحمّد بن الحسن، وأنّ أبا يزيد طيفور السقّاء خدمَه وسقاه ثلاث عشرة سنة، وأن إبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار، كانا من غلمانه.

* وروى ابن شهرآشوب عن (مُسند) أبي حنيفة، قال الحسن بن زياد: «سمعتُ أبا حنيفة وقد سُئل: من أَفقهُ مَن رأيت؟

كانت الناسُ تأتيه من الأقطار تسأله عن الحلال والحرام، وعن تأويل القرآن، وفصل الخطاب، فلا يخرج أحدٌ منهم إلا راضياً بالجواب

قال: جعفر بن محمّد؛ لمّا أقدمه المنصور - الدوانيقي العبّاسي - بعث إليّ، فقال: (يا أبا حنيفة! إنّ الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمّد؛ فهيّئ له من مسائلك الشِّداد).

فهيّأتُ له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر - المنصور - وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه؛ وجعفر - الصادق عليه السلام - جالسٌ عن يمينه. فلمّا بَصُرتُ به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر (المنصور)، فسلّمتُ عليه، فأومأ إليّ فجلستُ، ثمّ التفتَ إليه، فقال: يا أبا عبد الله! هذا أبو حنيفة.

قال: (**نَعَمْ، أَعْرِفُهُ**).

ثمّ التفت - المنصور - إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك.

فجعلتُ أُلقي عليه فيُجيبني، فيقول: (**أَنْتُمْ تَقولونَ كَذا، وَأَهْلُ المَدينَةِ يَقولونَ كَذا، وَنَحْنُ نَقولُ كَذا**).

فربّما تابعَنا، وربما تابعَهم، وربما خالفنا جميعاً، حتّى أتيتُ على الأربعين مسألة، فما أخلَّ منها بشيء، ثم قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلمَ الناس أعلمُهم باختلاف الناس؟».

كان عليه السلام يتلو القرآن في صلاته فغُشيَ عليه، فسُئل عن ذلك، فقال: «ما زلتُ أُكرّر آياتِ القرآن، حتّى بلغتُ إلى حالٍ كأنّني سمعتُها مُشافهةً ممّن أنزلها»

أخلاقُ الأنبياء

* في (تذكرة) السِّبط، قال: «ومن مكارم أخلاقه عليه السلام، ما ذكره الزمخشريّ في كتاب (ربيع الأبرار)، عن الشُّقرانيّ مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله (من أولاد شُقران مولى النبيّ صلّى الله عليه وآله)، قال:

خرج العطاءُ أيام المنصور وما لي شفيع، فوقفتُ على الباب متحيّراً، وإذا بجعفر بن محمّد قد أقبل، فذكرتُ له حاجتي، فدخل وخرج وإذا بعطائي في كُمّه، فناولني إيّاه، وقال: (**إنَّ الحَسَنَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ، وإنّهُ مِنْكَ أَحْسَنُ لِمَكانِكَ مِنّا. وَإنَّ القَبيحَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبيحٌ، وَإنَّهُ مِنْكَ أَقْبَحُ لِمَكانِكَ مِنّا**).

وإنّما قال له جعفر عليه السلام ذلك، لأن الشُّقرانيّ كان يشرب الشراب، فمن مكارم أخلاق جعفر عليه السلام أنّه رحّبَ به وقضى حاجتَه مع علمه بحاله، ووعظَه على وجه التعريض، وهذا من أخلاق الأنبياء عليهم السلام».

* ورُؤي عليه قميصٌ شِبهُ الكرابيس (صنف من الثياب خشن)... وبيَده مِسْحاةٌ يَفتحُ بها الماءَ، وقال: (**أُحِبُّ أنْ يَتأذّى الرَّجُلُ بِحَرِّ الشَّمْسِ في طَلَبِ المَعيشَةِ**).

* وكان يأمر بإعطاء أجور العمَلَة قبل أن يجفَّ عَرَقُهم.

مع فرعون زمانه

كان المنصور قد هَمّ بقتل أبي عبد الله عليه السلام غير مرّة، فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله، فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنّه منع الناس عنه، ومنعه من القعود للناس، واستقصى عليه أشدّ الاستقصاء، حتّى أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه، في نكاح أو طلاق أو غير ذلك، فلا يكون علمُ ذلك عندهم - أي عند الفقهاء من أصحابه عليه السلام - ولا يَصِلون إليه، فيعتزلُ الرجلُ أهلَه.

وكان رجلٌ من الإماميّة طلّق امرأته ثلاثاً، فسأل الفقهاء، فقالوا: ليس بشيءٍ، فقالت امرأته: لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله عليه السلام، وكان بالحِيرة إذ ذاك أيّام أبي العبّاس.

قال الرجل: فذهبت إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه، إذ منع الخليفةُ الناسَ من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أنظر كيف ألتمسُ لقاءه، فإذا سَوادِيٌّ - أي رجلٌ من أهل السواد - عليه جبّة صوفٍ يبيعُ خياراً، فقلت له: بكم خيارك هذا كلّه؟

قال: بدرهم، فأعطيته درهماً. وقلت له: أعطِني جبّتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت: مَن يشتري خياراً؟ ودنوت منه عليه السلام، فإذا غلامٌ من ناحيةٍ يُنادي: يا صاحب الخيار!

فقال عليه السلام لي – لمّا دنوتُ منه: **ما أَجْوَدَ ما احْتَلْتَ! أَيُّ شَيْءٍ حاجَتُك؟**

قلت: إنّي ابتُليت فطلّقتُ أهلي في دفعةٍ ثلاثاً، فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء، وإنّ المرأة قالت: لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله عليه السلام.

فقال عليه السلام: **ارْجِعْ إِلى أَهْلِكَ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ.**

أقول: لما مُنع الصادق عليه السلام من القعود للناس شقّ ذلك على شيعته، وصعُب عليهم، حتّى ألقى الله عزّ وجلّ في روع المنصور أن يسأل الصادق عليه السلام، ليُتحفَه بشيءٍ من عنده، لا يكون لأحدٍ مثله، فبعث إليه بمِخْصَرَةٍ (المخصرة: نحو العصا) كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله؛ طولها ذراع، ففرَح بها فرحاً شديداً، وأمر أن تُشَقّ له أربعة أرباع، وقسّمها في أربعة مواضع، ثم قال له: «ما جزاؤك عندي إلا أن أُطلِقَ لك ونُفشي علمَك لشيعتك، ولا أتعرّض لكَ ولا لهم، فاقعد غير محتَشِمٍ وَأَفْتِ النّاسَ، ولا تكُن في بلدٍ أنا فيه».

ففَشى العلم عن الصّادق عليه السلام، واجتمع عنده الناس وتداكّوا عليه حتّى يأخذوا من علمه عليه السلام.

وعن معاوية بن ميسرة بن شريح، قال: «شهدتُ أبا عبد الله عليه السلام في مسجد الخَيف وهو في حلقة فيها نحو من مائتي رجل، وفيهم عبد الله بن شُبرمة (فقيهٌ، كان قاضياً للمنصور في بعض نواحي الكوفة)، فقال: يا أبا عبد الله إنا نقضي بالعراق فنقضي ما نعلم من الكتاب والسُّنّة، وتَرِدُ علينا المسألة فنجتهدُ فيها بالرأي.....

فأقبل أبو عبد الله عليه السلام، فقال: **أَيُّ رَجُلٍ كانَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ فَقَدْ كانَ عِنْدَكُمْ بِالعِراقِ وَلَكُمْ فيهِ خَبَرٌ.**

قال: فأطراه ابن شُبرمة وقال فيه قولاً عظيماً.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **فَإِنَّ عَلِيّاً أَبَى أَنْ يُدْخِلَ في دينِ اللهِ الرَّأْيَ، وَأَنْ يَقولَ في شَيْءٍ مِنْ دينِ اللهِ بِالرَّأْيِ وَالمَقاييسِ».**

* وروى الكليني عن المفضّل بن عمر، قال: وجّه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد، وهو واليه على الحرمين، أنْ أحرِق على جعفر بن محمّد داره! فألقى النار في دار أبي عبد الله عليه السلام فأخذت النارُ في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطّى النار ويمشي فيها، ويقول: «**أَنا ابْنُ أَعْراقِ الثَّرَى، أَنا ابْنُ إِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ**». (أعراق الثّرى هي أصول الأرض، وهنا الأنبياء. ومن ألقاب إسماعيل عليه السلام: عِرقُ الثّرى)

يظهر من روايات كثيرة أنَّ المنصور أحضره عليه السلام، مرّات عديدة ليقتله، فدعا اللهَ تعالى لكفاية شرّ المنصور، فكفاه الله تعالى شرّه

* ورُوي أنه سُعي بأبي عبد الله الصادق عليه السلام عند المنصور، بأنه بعث مولاه المُعلّى بن خُنيس بجباية الأموال من شيعته، وأنه كان يمدّ بها محمّد بن عبد الله (من أولاد الإمام الحسن عليه السلام، وكان يعمل على تقويض سلطان بني العبّاس) فكاد المنصور أن يأكل كفّه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمّه داود بن علي، وهو إذ ذاك أمير المدينة، أن يُسيّر إليه جعفر بن محمّد عليهما السلام، ولا يُرخِص له في التلوّم والمقام.

فبعث إليه داود بكتاب المنصور، وقال له: اعمل في المسير إلى أمير المؤمنين في غد، ولا تتأخّر!

قال صفوان الجمّال: وكنتُ يومئذٍ بالمدينة، فأنفذ إليّ أبو عبد الله عليه السلام فصرتُ إليه، فقال لي: «**تَعَهَّدْ راحِلَتَنا فَإِنّا غادونَ في غَدٍ إِنْ شاءَ اللهُ إِلى العِراقِ**»، ونهض من وقته وأنا معه إلى مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله، وكان ذلك بين الأولى والعصر، فركع فيه ركعات، ثمّ رفع يدَيه ودعا بدعاء.

وفي (الكافي) عن صفوان الجمّال، قال: «حملتُ أبا عبد الله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة، وأبو جعفر المنصور بها، فلمّا أشرف عليه السلام على الهاشمية – منطقة في الكوفة – أخرج رِجله من غَرْزِ الرَّحَل، ثمّ نزل ودعا ببغلة شهباء، ولبس ثياباً بيضاً وكُمَّةً بيضاء (الكُمّة العمامة) فلما دخل عليه، قال له أبو جعفر: لقد تشبّهتَ بالأنبياء!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **وَأَنّى تُبَعِّدُنِي مِنْ أَبْناءِ الأَنْبِياءِ؟**

قال: لقد هممتُ أن أبعث إلى المدينة من يَعْقِرُ نخلَها ويَسبي ذرّيتها.

قال: **وَلِمَ ذاك؟**

فقال: رُفع إليّ أن مولاك المعلّى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال.

فقال: **وَاللهِ ما كانَ.**

فقال: لستُ أرضى منك إلا بالطلاق والعِتاق والهَدي والمَشي.

فقال: **أَبِالأَنْدادِ مِنْ دونِ اللهِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَحْلِفَ، إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ.** فقال: أَتَتَفَقَّهُ عَلَيَّ؟!

فقال: **وَأَنّى تُبَعِّدُنِي مِنَ التَّفَقُّهِ وَأَنَا ابنُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟**

قال: فإنّي أجمعُ بينك وبينَ مَن سعى بك؟

قال: **فَافْعَل.**

قال: فجاء الرجل الذي سعى به، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **يا هَذا!**

فقال: نعم! واللهِ الذي لا إلهَ إلا هو عالمُ الغَيب والشهادة، الرحمنُ الرحيم، لقد فعلتَ.

آخر وصاياه عليه السلام لخاصّته وأهل بيته: «إنّ شفاعتنا - أهلَ البيت - لا تنالُ مستخفّاً بالصلاة»

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **يا وَيْلَكَ! تُبَجِّلُ اللهَ تَعالى فَيَسْتَحْيي مِنْ تَعْذيبِكَ، وَلَكِنْ قُلْ: بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَأَلْجَأْتُ إِلى حَوْلِي وَقُوَّتِي.**

فحلفَ بها الرجلُ، فلم يستتمّها حتّى وقع ميتاً. فقال له أبو جعفر: لا أصدّقُ بعدَها عليك أبداً...».

أقول: قد ظهر من هذه الرواية ومن روايات أُخَرَ أنّ مجيء الصادق عليه السلام، من المدينة إلى العراق كان أكثر من مرّة واحدة، ويظهر من روايات كثيرة أنّ المنصور أحضره عليه السلام، مرّات عديدة ليقتله، فدعا اللهَ تعالى لكفاية شرّ المنصور، فكفاه الله تعالى شرّه.

* وكان من دعائه عليه السلام حين أمر المنصور بإحضاره، فلمّا بصُر به قال: «قتلني الله إن لم أقتلك، أتُلحِدُ في سلطاني وتبغيني الغوائل؟!

قال الربيع حاجب المنصور: وكنت رأيت جعفر بن محمّد عليهما السلام حين دخل على المنصور يحرّك شفتَيه، فكلّما حرّكهما سكن غضبُ المنصور، حتّى أدناه منه وقد رضيَ عنه، فلمّا خرج عليه السلام اتّبعته، وقلت له: بأيّ شيءٍ كنت تحرّك شفتيك حتّى سكن غضبه؟

قال: **بِدُعاءِ جَدّي الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِما السَّلامُ.**

قلت: جُعلتُ فداك وما هذا الدعاء؟

قال: (**يا عُدَّتي عِنْدَ شِدَّتي، وَيا غَوْثي في كُرْبَتي، احْرُسْني بِعَيْنِكَ الّتي لا تَنامُ، وَاكْنُفْني بِرُكْنِكَ الّذي لا يُرامُ**).

قال الربيع: فحفظت هذا الدعاء، فما نزلت بي شدّة قطّ إلا دعوتُ به ففرّج عنّي».

شهادة الإمام الصادق عليه السلام

قُبض أبو عبد الله عليه السلام في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة مسموماً، في عنب سَمّه المنصور، وله خمس وستّون سنة، وقد عيّن بعض المتتبّعين يوم وفاته عليه السلام في الخامس والعشرين منه، ودُفن في البقيع مع أبيه وجدّه، وعمّه الإمام الحسن المجتبى عليهم السلام.

وعن أبي بصير، قال: «دخلتُ على أمّ حميدة أعزّيها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكتْ وبكيتُ لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمّد، لو رأيتَ أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيتَ عَجَباً، فتح عينيه، ثمّ قال: **اجْمَعوا لي كُلَّ مَنْ بَيْني وَبَيْنَهُ قَرابَة**، قالت: فلم نَترُك أحداً إلا جمعناه، قالت: فنظرَ إليهم، ثمّ قال: **إِنَّ شَفاعَتَنا لا تَنالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلاةِ**».

.. وإنّ عندي لَمِثْلَ الذي جاءت به الملائكة

نُبذة يسيرة مما أُثِر عن الإمام الصادق عليه السلام

■ العلامة المحقّق عليّ بن عيس الإربلي رحمه الله

* كتاب (كشف الغُمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام) للعلامة المحقّق أبي الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي - توفّي في ٦٩٣ للهجرة، ودُفن بجانب الغربيّ من بغداد - جمع فيه مؤلّفه أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله والزهراء والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وتواريخهم ومناقبهم وفضائلهم ومعجزاتهم، والغالب عليه النقلُ من كُتب الجمهور، ليكون أدعى إلى القبول.

يستعرض هذا المقال المقتطف والمختصر عن (كشف الغُمّة) شواهد من كرامات الإمام الصادق عليه السلام ومعجزاته وغُرر أقواله ومواقفه مع الحكّام العباسيّين.

نُشير إلى أنّ (إربل) التي يُنسب إليها المؤلّف بلدة من أعمال الموصل، بينهما - كما في معجم الحموي - مسيرة يومين.

«شعائر»

الإمام جعفر الصادق، بن محمّد، بن عليّ، بن الحسين، بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

قال كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ – المتوفّى ٦٥٢ للهجرة - في (مطالب السّؤول): «هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام.... نقلَ عنه الحديث واستفاد منه العلمَ جماعةٌ من أعيان الأئمة وأعلامهم، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوريّ، وابن عُيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني وغيرهم، وعدّوا أَخْذَهم منه منقبةً شرفوا بها وفضيلةً اكتسبوها... حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تُدرَك عِللها والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه، وقد قيل إنّ كتاب الجَفْر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن، هو من كلامه عليه السلام، وإنّ في هذه المنقبة سنية، ودرجة في مقام الفضائل علية. وهذه نبذة يسيرة مما نقل عنه».

قلت (الإربلي): «كتاب الجَفْر مشهور وفيه أسرارهم وعلومهم، وقد ذكره مصرّحاً الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، حين عهد إليه المأمون...».

ما هي إليك، ولا إلى ابنك

قال الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد): «إنَّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا – أيّام بني أُميّة - بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن (المحض)، وابناه محمّد وإبراهيم، ومحمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال صالح بن عليّ: قد علمتم أنّكم الذين يمدّ الناس إليهم أعينهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا لرجل منكم بيعة تُعطونه إياها من أنفسكم، وتَواثقوا على ذلك حتّى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

ثمّ قال عبد الله بن الحسن: قد علمتم أنّ ابني هذا (محمّداً) هو المهديّ، فهلمّ فلنبايعه!

وقال أبو جعفر (المنصور) لأيّ شيء تخدعون أنفسكم؟ واللهِ لقد

كانت المعجزات تظهرُ على يدَي الصادق عليه السلام، ويُخبر بالكائنات قبل كونها، مثلما كانت سيرة الأنبياء والأوصياء في أقوامهم

علمتم ما الناس إلى أحدٍ أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى – يريد محمّد بن عبد الله.

قالوا: قد والله صدقت، إن هذا الذي نعلم، فبايعوا محمّداً جميعاً ومسحوا على يده.

(ثمّ أوفدوا رسولاً إلى جعفر بن محمّد الصادق ليحضر عندهم. وقيل إن عبد الله بن الحسن قال لَمن حضر: لا تريدوا جعفراً فإنا نخاف أن يُفسد عليكم أمركم)...

وجاء جعفر بن محمّد (الصادق عليه السلام)، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، فتكلّم بمثل كلامه، فقال جعفر بن محمّد: **لا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ هَذا الأَمْرَ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ، إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ ابْنَكَ هَذا هُوَ المَهْدِيُّ فَلَيْسَ بِهِ، وَلا هَذا أَوانُهُ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّما تُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَهُ غَضَباً لله، تَعالى، وَلِيَأْمُرَ بِالمَعْروفِ وَيَنْهى عَنِ المُنْكَرِ، فَإِنّا، وَاللهِ، لا نَدَعُكَ وَأَنْتَ شَيْخُنا وَنُبايِعُ ابْنَكَ في هَذا الأَمْرِ.**

> **عن الصادق عليه السلام: «حديثي حديثُ أبي، وحديثُ أبي حديث جدّي، وحديثُ جدّي حديثُ عليّ بن أبي طالب أميرِ المؤمنين، وحديثُ عليٍّ حديثُ رسول الله، وحديثُ رسول الله قولُ الله عزّ وجلّ»**

فغضب عبد الله وقال: لقد علمتَ خلافَ ما تقول، ووالله ما أطلعَك اللهُ على غَيبه، ولكنك يحملُك على هذا الحسد لابني.

فقال: **وَاللهِ، ما ذَلِكَ يَحْمِلُني، وَلَكِنَّ هَذا وَإِخْوَتَهُ وأَبْناءَهُمْ دونَكُمْ**، وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: **إِيهاً، وَاللهِ، ما هِيَ إِلَيْكَ وَلا إِلى ابْنِكَ، وَلَكِنَّها لَهُمْ** – أي لبني العباس – **وَإِنَّ ابْنَيْكَ لَمَقْتولانِ.**

ثم نهض وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهريّ، وقال: **أَرَأَيْتَ صاحِبَ الرِّداءِ الأَصْفَرِ** -يعني أبا جعفر المنصور- فقال له: نعم.

فقال: **إِنّا، وَاللهِ، نَجِدُهُ يَقْتُلُهُ.**

فقال له عبد العزيز: أيقتلُ محمّداً؟

قال: **نَعَمْ.**

قال: فقلت في نفسي: حسدَه وربّ الكعبة... ثمّ والله ما خرجتُ من الدنيا حتّى رأيته قتلهما... فلما قال جعفر (الصادق عليه السلام) ذلك ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر (المنصور) فقالا: يا أبا عبد الله تقول هذا؟

قال: **نَعَمْ، أَقولُهُ، وَاللهِ، وَأَعْلَمُهُ».**

* وعن بجاد العابد قال: «كان جعفر بن محمّد عليهما السلام إذا رأى محمّد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه، ثم يقول: **بِنَفْسي هُوَ، إِنَّ النّاسَ لَيَقولونَ فيهِ، وَإِنَّهُ لَمَقْتولٌ لَيْسَ هُوَ في كِتابِ عَلِيٍّ مِنْ خُلَفاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ».**

فصل: وهذا حديث مشهور... لا يختلف العلماء بالأخبار في صحّته، وهو ممّا يدلّ على إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، وأنَّ المعجزات كانت تظهر على يده لإخباره بالغائبات والكائنات قبل كونها، كما كان يخبر الأنبياء عليهم السلام، فيكون ذلك من آياتهم وعلامات نبوتهم وصدقهم على ربهم عزّ وجلّ.

* ورُوي أن داود بن عليّ (عمّ المنصور ووالية على المدينة) قتل المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمّد عليهما السلام، وأخذ ماله. فدخل عليه جعفر الصادق عليه السلام، فقال له: **«قَتَلْتَ مَوْلايَ وَأَخَذْتَ مالَهُ؟ أَما عَلِمْتَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنامُ عَلى الثُّكْلِ وَلا يَنامُ عَلى الحَرْبِ، أَما وَاللهِ، لَأَدْعُوَنَّ اللهَ عَلَيْكَ!»**

فقال له داود بن علي: أتُهدّدنا بدعائك؟ كالمستهزئ بقوله.

فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره، فلم يزل ليله كلّه قائماً وقاعداً، حتّى إذا كان السحَر سُمع وهو يقول في مناجاته: **يا ذا القُوَّةِ القَوِيَّةِ، وَيا ذا المَحالِ الشَّديدِ، وَيا ذا العِزَّةِ الّتي كُلُّ خَلْقِكَ لَها ذَليلٌ، اكْفِني هَذا الطَّاغِيَةَ وَانْتَقِمْ لي مِنْهُ**»، فما كانت إلا ساعة حتّى ارتفعت الأصوات بالصياح، وقيل مات داود بن عليّ.

إحدى كراماته المتواترة

* عن اللّيث بن سعد، قال: حججتُ سنة ثلاث عشرة ومائة، فأتيت مكّة فلمّا صلّيتُ العصر رقيتُ أبا قبيس (جبلٌ قريبٌ من مكّة المكرّمة) وإذا أنا برجل جالس وهو يدعو، فقال: (**يا رَبّ يا رَبّ**) حتّى انقطع نفسه.

ثم قال: (**رَبّ رَبّ**) حتّى انقطع نفسه.

ثم قال: (**يا اللهُ يا اللهُ**) حتّى انقطع نفسه.

ثم قال: (**يا حَيُّ يا حَيُّ**) حتّى انقطع نفسه.

ثم قال: (**يا رَحيمُ يا رَحيمُ**) حتّى انقطع نفسه.

ثم قال: (**يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ**) حتّى انقطع نفسه، سبع مرّات.

ثم قال: **اللَّهُمَّ إِنّي أَشْتَهي مِنْ هَذا العِنَبِ فَأَطْعِمْنيهِ، اللَّهُمَّ وَإِنَّ بُرْدَيَّ قَدْ أَخلَقَا**. (البُردة: نوع من الأكسية)

قال اللّيث: فوَاللهِ ما استتمّ كلامَه حتّى نظرتُ إلى سلّة مملوة عنباً، وليس على الأرض يومئذٍ عنب، وبُردَين جديدَين موضوعَين، فأراد أن يأكل فقلتُ له: أنا شريكُك.

فقال لي: **وَلِمَ؟**

فقلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمّن.

فقال لي: **تَقَدَّمْ فَكُلْ، وَلا تُخَبِّئْ شَيْئاً**.

فتقدّمت فأكلتُ شيئاً لم آكُل مثله قطّ، وإذا عنبٌ لا عَجَمَ له، فأكلت حتّى شبعت والسلّة لم تنقص.

ثم قال لي: **خُذْ أَحَدَ البُرْدَيْنِ إِلَيْكَ**.

فقلت: أما البُردان فإني غنيٌّ عنهما!.... فاتّزرَ بالواحد وارتدى بالآخر... ونزل، فاتّبعته حتّى إذا كان بالمسعى لَقِيَهُ رجل... فلحقتُ الرجل فقلت: من هذا؟ قال: هذا جعفر بن محمّد.

قال الليث: فطلبتُه لأسمع منه فلم أجِده..».

رُوي عنه عليه السلام: «وإن عندي الاسم الذي كان رسولُ الله، إذا وضعَه بين المسلمين والمشركين، لم يصِل من المشركين إلى المسلمين نُشّابة، وإن عندي لَمِثلَ الذي جاءت به الملائكة»

قال أفقر عباد الله إلى رحمته، عليّ بن عيسى (المؤلّف): «حديث اللّيث مشهور وقد ذكره جماعة من الرواة ونقلَة الحديث... وقد أورد هذا الحديث جماعة من الأعيان، وذكره الشيخ الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ رحمه الله في كتابه (صفوة الصفوة)، وكلّهم يرويه عن الليث، وكان ثقةً معتبراً».

حديثه عليه السلام، قولُ الله عزّ وجلّ

* عن يونس بن يعقوب، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجلٌ من أهل الشام، فقال له: إني رجلٌ صاحبُ كلام وفقه وفرائض، وقد جئتُ لمناظرة أصحابك.

فقال له أبو عبد الله: **كَلامُكَ هَذا مِنْ كَلامِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمْ مِنْ عِنْدِكَ؟**

فقال: من كلام رسول الله ﷺ بعضُه، ومن عندي بعضُه!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **فَأَنْتَ، إِذاً، شَريكُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟**

قال: لا.

قال: **فَسَمِعْتَ الوَحْيَ عَنِ اللهِ؟**

قال: لا.

قال: **فَتَجِبُ طاعَتُكَ كَما تَجِبُ طاعَةُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟**

قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليّ وقال: **يا يونُسَ بْنَ**

يَعْقوبَ، هَذا رَجُلٌ قَدْ خَصَمَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ...».

* وعن صالح بن الأسود، قال: «سمعتُ جعفر بن محمّد يقول: سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني، فَإِنَّهُ لا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي بِمِثْلِ حَديثي».

* وكان عليه السلام يقول: «حَديثي حَديثُ أَبي، وَحَديثُ أَبي حَديثُ جَدِّي، وحَديثُ جَدِّي حَديثُ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ أَميرِ المُؤْمِنينَ، وحَديثُ عَلِيٍّ حَديثُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحَديثُ رَسولِ اللهِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

* وروى معاوية بن وهب عن سعيد السمّان قال [من ضمن خبر طويل] قال ابو عبد الله: «..وَإِنَّ عِنْدي الاسْمَ الّذي كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إِذا وَضَعَهُ بَيْنَ المُسْلِمينَ وَالمُشْرِكينَ لَمْ يَصِلْ مِنَ المُشْرِكينَ إِلى المُسْلِمينَ نُشّابَةٌ، وَإِنَّ عِنْدي لَمِثْلَ الّذي جاءَتْ بِهِ المَلائِكَةُ». (النشّابة: السهم. والذي جاءت به الملائكة، إشارة منه عليه السلام إلى ما في الآية ٢٤٨ من سورة البقرة: ﴿..إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾، وفي روايات أُخر ما يؤيّد هذا المعنى)

سُئل عليه السلام: لِمَ حرّمَ اللهُ الرّبا؟ فقال: «لئلّا يتمانع الناسُ المعروفَ». وقال عليه السلام: «..السعيدُ مَن وجد في نفسه خلوةً يشتغلُ بها».

* وروى الشيخ المفيد رحمه الله: «.. عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: لَمّا حَضَرَتْ أَبي الوَفاةُ، قالَ: يا جَعْفَرُ، أوصيكَ بِأَصْحابي خَيْراً، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ، وَاللهِ لَأَدَعَنَّهُمْ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ يَكونُ في المِصْرِ فَلا يَسْأَلُ أَحَداً...».

* وقال عليه السلام لمولاه نافذ: «إِذا كَتَبْتَ رُقْعَةً أَوْ كِتاباً في حاجَةٍ فَأَرَدْتَ أَنْ تَنْجَحَ حاجَتُكَ الّتي تُريدُ، فَاكْتُبْ رَأْسَ الرُّقْعَةِ بِقَلَمٍ غَيْرِ مَديدٍ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ اللهَ وَعَدَ الصّابِرينَ المَخْرَجَ مِمّا يَكْرَهونَ، وَالرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبونَ، جَعَلَنا اللهُ وَإِيّاكُمْ مِنَ الّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ)، قال نافذ: فكنت أفعل ذلك فتنجح حوائجي».

* وقال ابن أبي حازم: «كنت عند جعفر بن محمّد، إذ دخل آذِنه، فقال: سفيان الثوريّ بالباب، فقال: إِئْذَنْ لَهُ، فدخل، فقال له جعفر: يا سُفْيانُ، إِنَّكَ رَجُلٌ يَطْلُبُكَ السُّلْطانُ، وَأَنا أَتَّقي السُّلْطانَ، قُمْ فَاخْرُجْ غَيْرَ مَطْرودٍ.

فقال سفيان: حدّثني حتّى أسمع وأقوم، فقال جعفر: حَدَّثَني أَبي، عَنْ جَدِّي، أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ: مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنِ اسْتَبْطَأَ الرِّزْقَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ، وَمَنْ حَزَنَهُ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

فلمّا قام سفيان، قال جعفر: خُذْها يا سُفْيانُ ثَلاثاً، وَأَيّ ثَلاثٍ».

* وعنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، قال: «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ». (التوبة:١١٩)

* وعن جابر بن عون قال: قال رجل لجعفر بن محمّد: إنه وقع بيني بين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه، فيقال لي إنّ تركك له ذلّ، فقال له جعفر بن محمّد: إِنَّ الذَّليلَ هُوَ الظّالِمُ».

* وعن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قالَ في كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبينُ، كانَ لَهُ أَمانٌ مِنَ الفَقْرِ وَأَمْنٌ مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ وَاسْتَجْلَبَ الغِنى وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ».

المواجهة السياسية عند الإمام الصادق عليه السلام

إعلانُ الإمامة والدعوة إليها

■ الإمام السيد علي الخامنئي دام ظلّه

* هذه المقالة التي اخترناها من أحد فصول كتاب (إنسان بعمر ٢٥٠ سنة) للإمام السيّد علي الخامنئي دام ظلّه تكشف جانباً مهماً من حياة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام. عنينا به ذاك المتعلّق بدوره الريادي الكبير في الحياة السياسيّة والأمنيّة التي سادت في أواخر الدولة الأمويّة وبدايات دولة بني العبّاس.

هنا يضيء السيّد الخامنئي على تلك السيرة الغامضة من حياة الإمام الصادق عليه السلام؛ وهي على وجه التحديد استراتيجيّة المواجهة السرّيّة والعلنيّة في وجه السلطة المستبدّة، والآليات التي وضعها لأتباع أهل بيت النبوّة عليهم السلام ليواصلوا جهادهم على المستويات كافّة.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّنا اقتطفنا بعض الموارد المهمة من بحث السيّد القائد لأهمّيّتها العظمى في هذه الحقبة بالذات، والمقال بمجمله مختصر عن الفصل المشار إليه.

«شعائر»

عندما انتقل الإمام الباقر عليه السلام من هذه الدنيا، وعلى أثر النشاطات المكثّفة الّتي جرت طيلة مدّة إمامته وإمامة الإمام السجّاد عليه السلام، فإنّ الأوضاع والأحوال تغيّرت كثيراً لمصلحة آل البيت عليهم السلام.

كانت خطّة الإمام الصادق عليه السلام، هي أن يجمع - بعد رحيل الإمام الباقر عليه السلام - الأمورَ، وينهض بثورة علنيّة، ويسقط حكومة بني أميّة - والّتي كانت في كلّ يوم تنتقل من حاكمٍ إلى آخر، ما يدلّ على منتهى ضعف هذا الجهاز - ويأتي بالجيوش من خراسان والريّ وأصفهان والعراق والحجاز ومصر والمغرب وكلّ المناطق الإسلاميّة، الّتي كان فيها أيضاً شبكات حزبية للإمام الصادق عليه السلام، أي شيعته؛ ويحضر كلّ القوّات إلى المدينة ليزحف نحو الشام ويسقط حكومتها ويرفع بيده راية الخلافة، ويأتي إلى المدينة ويعيد حكومة النبيّ صلى الله عليه وآله إليها، هذه كانت خطّة الإمام الصادق عليه السلام.

لقد كان الإمام الصادق صلوات الله عليه، مشغولاً بجهادٍ واسعِ النطاق؛ الجهاد من أجل الإمساك بالحكومة والسلطة، من أجل إيجاد حكومة إسلامية وعلويّة. أي أنّ الإمام الصادق سلام الله عليه، كان يهيّئ الأرضية للقضاء على بني أميّة والمجيء بحكومة علويّة أي حكومة العدل الإسلامي. وإنّ هذا ما يتّضح من حياة الإمام الصادق عليه السلام لكلّ من يطالع ويدقّق.

لقد أوجد الإمام الصادق صلوات الله عليه، تشكيلات عظيمة من المؤمنين به، ومن أتباع تيّار الحكومة العلوية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، من أقصى خراسان وما وراء النهر إلى شمال أفريقيا.

فماذا تعني التشكيلات؟ أي أنّه عندما يريد الإمام الصادق عليه السلام أن ينقل أيّ شيءٍ فإنّ وكلاءه المتواجدين في مختلف آفاق العالم الإسلامي، سينقلون ذلك إلى النّاس لكي يعلموه. ويعني أيضاً أنّها ستجمع كلّ الحقوق الشرعية والميزانية المطلوبة لإدارة مواجهة سياسية عظيمة لآل عليّ عليهم السلام. ويعني ذلك أنّ وكلاءه وممثّليه المتواجدين في جميع المدن سيرجع إليهم أتباع الإمام الصادق عليه السلام لمعرفة تكليفهم الدينيّ والسياسيّ

كان الإمام الصادق صلوات الله عليه، مشغولاً بجهادٍ واسعِ النطاق؛ ويُهَيّئ الأرضية للقضاء على بني أميّة وتشكيل حكومة علويّة

من الإمام. لقد أوجد الإمام الصادق عليه السلام مثل هذه التشكيلات العظيمة، وبهذه التشكيلات وبمساعدة مَن كان داخلاً فيها من الناس، كان يواجه جهاز بني أميّة.

وبالطبع، إنّ ما جرى على الإمام الصادق عليه السلام هو أمرٌ مهمٌّ جدّاً ومليءٌ بالعبر، فقد كان يواجه بني أميّة لمدّة عشر سنوات وبني العبّاس لمدّة طويلة أيضاً، وعندما كان انتصاره على بني أميّة حتميّاً، جاء بنو العبّاس كتيّارٍ انتهازيٍّ ونزلوا إلى الميدان، ومن بعدها صار الإمام الصادق عليه السلام يواجه بني أميّة وبني العبّاس أيضاً.

وقد نُقل عن الطبريّ - المؤرّخ المعروف - أمورٌ تتعلّق بأنّ الإمام عليه السلام كان يحارب بني أميّة في بداية السنوات العشر لإمامته. وكانت مواجهة الإمام الصادق عليه السلام في هذه المرحلة علنيّة، لم يعد فيها أيّ إخفاء أو تقيّة أو كتمان.

كان الإمام عليه السلام أثناء ترويج هذا الأمر وتبليغه، يرى نفسه في مرحلةٍ من الجهاد، حيث ينبغي عليه أن يتبرّأ بشكل مباشر وصريح من حكّام زمانه، وأن يُعرّف الناس على نفسه كصاحب حقٍّ واقعيٍّ للولاية والإمامة.

أوجد الإمام الصادق عليه السلام، تشكيلات عظيمة من المؤمنين به، في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، من أقصى خراسان إلى شمال أفريقيا

الوكلاء والمبلّغون

من يطالع حياة الأئمّة عليهم السلام غير المدوّنة، يتساءل في نفسه: ألم يكن للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في نهايات عصر بني أمّية من الدعاة الّذين يبلّغون بإمامتهم ويأخذون من الناس الطاعة والدعم لهم في أطراف الدولة الإسلامية وأكنافها؟

(إذا كان الجواب نفياً) فكيف يمكن تفسير هذه العلائم والروابط التنظيميّة الّتي تُشاهد بوضوح والّتي تظهر في العلاقات الماليّة والفكريّة، بين الأئمّة والشيعة؟

فما معنى حمل هذه الحقوق الشرعية والأموال من مختلف أطراف العالم إلى المدينة؟ وكلّ هذه الأسئلة حول القضايا الدينية؟ وهذه الدعوة الواسعة المنتشرة للتشيّع؟ وأيضاً هذا الشرف والمحبوبيّة الّتي لا نظير لها، لآل عليٍّ عليهم السلام في مناطق مهمّة من الدولة الإسلاميّة؟ وهذا الجمع الغفير من المحدّثين والرواة الخراسانيين والسيستانيين والكوفيين والبصريين واليمانيين والمصريين الّذين اجتمعوا حول الإمام عليه السلام؟ فأيّة يدٍ مقتدرة أوجدت كلّ هؤلاء؟ فهل يمكن أن نعتبر هذا الأمر مصادفةً وأنّ الحدث التلقائي كان عاملاً أساسيّاً وراء كلّ هذه الظواهر المنسجمة والمترابطة؟

من الممكن أن يُسأل أنّه لو كان هناك مثل هذه الشبكة الإعلاميّة الوسيعة والفعّالة، فلماذا لا يوجد في التاريخ ذكرٌ لها، أو أن يُنقل بالصّراحة ما يتعلّق بوقائعها؟

والجواب: ... هو أنّه، أوّلاً، يجب البحث عن سبب عدم هذا الظهور في تمسّك أصحاب الإمام عليه السلام الشديد بأصل التقيّة المُعتبر والراقي، والّذي يمنع نفوذ أيّ غريبٍ إلى تشكيلات الإمام عليه السلام؛ ويؤدّي في النهاية إلى فشل جهاد الشيعة في هذه المرحلة وعدم وصولهم إلى السلطة، والّذي هو أيضاً بذاته معلولٌ لعوامل عدّة. لو لم يصل العبّاسيّون إلى السلطة، لبقيت مساعيهم ونشاطاتهم السرّية وذكرياتهم المرّة والحلوة من نشاطاتهم الإعلاميّة بلا شك في الصدور، ولما عرف أيّ أحدٍ شيئاً عنهم ولما سجّلها التاريخ.

لقد استطاع الإمام الصادق عليه السلام وبمساعدة آبائه الكبيرة - أي الإمام السجّاد والإمام الباقر

عليهما السلام - إعداد عدّةٍ مؤمنةٍ مسلمة دينية أصيلة ثورية مُضحيّة من أجل المخاطرة في كلّ أنحاء العالم الإسلامي.

من المدهش أنّ أتباع الإمام الصادق عليه السلام كانوا منتشرين في كلّ مكان، لا تتصوّر أنّ ذلك كان في المدينة فقط، بل كانوا في الكوفة أكثر من المدينة، لا بل كان منهم في الشام أيضاً. فهؤلاء كانوا يمثّلون الشبكة العظيمة لتشكيلات الإمام الصادق عليه السلام.

كان هناك شبكة هي الّتي كانت تتحمّل مسؤولية الأنشطة الواسعة والمثمرة المتعلّقة بقضية الإمامة في الكثير من المناطق النائية لدولة المسلمين، وخصوصاً في نواحي العراق العربي وخراسان. ولكن هذا أحد وجوه القضية وجزء صغير جدّاً منها. إنّ موضوع التشكيلات السرّية في ساحة الحياة السياسية للإمام الصادق عليه السلام وللأئمّة الآخرين أيضاً، هو من أهم فصول هذه الحياة والسيرة الجيّاشة، وفي نفس الوقت من أكثرها غموضاً وإبهاماً.

الإمام المجتبى عليه السلام يؤسّس لتقويض سلطان بني أمية

التشكيلات هي مجموعة من الناس، وبهدفٍ مشترك، يقومون بأعمال ومسؤوليات مختلفة بالارتباط بمركزٍ واحد وقلبٍ نابض وعقلٍ حاكم، ويشعرون فيما بينهم بنوع من الروابط والإحساسات والمشاعر القريبة والمتآلفة.

وهذا الجمع تمثّل في زمن عليّ عليه السلام - أي في المدّة الفاصلة بين السقيفة والخلافة، والّتي امتدّت لخمس وعشرين سنة - بخواصّ الصحابة الّذين كانوا، بالرغم من كلّ تظاهر جهاز الخلافة بالحقّانيّة والشعبيّة، كانوا يعتقدون أنّ الحكومة هي حقّ أفضل المسلمين وأكثرهم تضحيةً - أي عليّ بن أبي طالب عليه السلام - ولم ينسوا النصّ الصريح للنبيّ بخلافة عليّ عليه السلام ، وقد أعلنوا بصراحة، منذ الأيّام الأولى بعد السقيفة مخالفتهم الذين حصلوا على الخلافة، وأيضاً وفاءهم للإمام عليه السلام.

وتؤيّد الشواهد التاريخيّة أنّ هذه الجماعة كانت تنشر الفكر الشيعيّ - أي الاعتقاد بضرورة اتّباع الإمام كقائدٍ فكريّ وسياسيّ أيضاً - بين الناس، ملتزمةً بأساليب المصلحة والحكمة، وكانوا يزدادون يوماً بعد يوم؛ وكان كلّ عملٍ لأجل تشكيل الحكومة العلويّة يُعدّ بمنزلة مقدّمة للواجب.

كان الارتباط الفكري بالإمام المعصوم والمشاركة العملية في الأنشطة التي يقودها من الشروط الأساسية والضرورية لتَحقُّق عنوان «التشيُّع»

كما أنّ الإجراءات المهمّة جدّاً الّتي حصلت بعد حادثة صلح الإمام الحسن عليه السلام قد أدّت إلى انتشار الفكر الشيعي وتوجيه هذه المجموعة المترابطة والمتآلفة.

إنّ تجميع القوى الشيعيّة الأصيلة والموثوقة وحمايتهم من شرّ المؤامرات الغادرة للجهاز الأموي ضدّ الشيعة، ونشر الفكر الإسلاميّ الأصيل في دائرةٍ ضيّقةٍ ولكنّها عميقةٌ جدّاً، واستقطاب القوى المستعدّة وإضافتهم إلى مجموع الشيعة، وانتظار الفرصة المناسبة وفي النهاية الثورة والتحرّك في الوقت المناسب الّذي يدمّر النظام الجاهلي لبني أميّة، سيعيد النظام الإسلامي والعلويّ إلى موقعه؛ هكذا كانت استراتيجية الإمام الحسن، وآخر الأسباب الّتي جعلت قبوله للصلح غير قابلٍ للاجتناب.

ولعلّه لأجل هذه الجهة، وبعد حادثة الصلح، عندما جاءت جماعة من الشيعة بزعامة المسيّب بن نجبة وسليمان بن صُرد الخزاعي إلى المدينة - حيث كان الإمام عليه السلام قد رجع لتوّه من الكوفة وجعل المدينة المنوّرة مقرّاً فكريّاً وسياسيّاً لنفسه مجدّداً - واقترحوا عليه إعادة بناء القوى العسكريّة والسيطرة على الكوفة والهجوم على جيش الشام، فاختار الإمام عليه السلام هذين الرجلين من بين الجميع واختلى بهما، وبكلماتٍ لم يصلنا منها أيّ

خبرٍ، لا من قريب ولا من بعيد، أقنعهما بعدم صوابيّة هذه الخطّة، بحيث أنّهما عندما رجعا إلى أتباعهم ورفقائهم أفهموهم بكلماتٍ قصيرة وبليغة انتفاء موضوع الثورة العسكرية وضرورة أن يرجعوا إلى الكوفة وينصرفوا إلى أعمالهم.

بالالتفات إلى هذه القرائن، يعتقد بعض كبار المؤرّخين أنّ اللبنة الأولى لبناء التشكيلات السياسية الشيعية قد حصلت في ذلك اليوم، وأُسّست في ذلك المجلس الّذي اجتمع فيه الإمام الحسن عليه السلام مع هاتين الشخصيّتين الشيعيّتين المعروفتين وتباحث معهما.

النّاظر في تاريخ الإسلام يسأل نفسه: هل أنّ رواج الفكر والتوجّهات الشيعيّة إلى هذا الحدّ ممكنٌ ومعقولٌ إلّا في ظلّ نشاطٍ محسوبٍ بدقّة لتشكيلاتٍ شيعيّة متّحدة منسجمة مترابطة ذات جهة واحدة، أي من جانب تلك التشكيلات التي استشرف الإمام الحسين ولادتها مباشرةً بعد صلح الإمام الحسن؟ لا شكّ بأنّ الجواب سلبيّ. فالإعلام المستمرّ والدقيق للجهاز الأموي المتسلّط الّذي كان يُدار بواسطة مئات القضاة والقرّاء والخطباء والوُلاة، ما كان ليُجاب عليه، وفي بعض الموارد ليُحبط إلا بوجود إعلامٍ دقيقٍ آخر، يُدار من جانب مجموعة مترابطة ذات جهة واحدة وبالطبع سرّيّة.

أعدّ الإمام الصادق عليه السلام جماعة مؤمنة ثورية مُضحيّة في كلّ أنحاء العالم الإسلامي

على مشارف هلاك معاوية، أضحت نشاطات المنظّمة هذه أكثر، وأضحت وتيرتها أسرع؛ إلى حدٍّ أنّ والي المدينة كتب رسالة إلى معاوية بعدما حصل على تقريرٍ حول نشاطات الإمام عليه السلام. فقد رُوي أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة: «أما بعد، فإن عمرو بن عثمان ذكر أنّ رجالاً من أهل العراق، ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن عليّ، وذكر أنه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إليّ برأيك..».

بعد واقعة كربلاء وشهادة الإمام عليه السلام، أضحت الأنشطة المنظّمة للشيعة في العراق أكثر تنظيماً وتحرّكاً بدرجات. يقول الطبري المؤرّخ المعروف إنّ تلك الجماعة - أي الشيعة - كانوا دائماً مشغولين بجمع السلاح وإعداد العدّة للحرب ودعوة الناس في الخفاء - سواء كانوا شيعة أم غير شيعة - من أجل الثأر للإمام الحسين، وقد استجابت لهم جماعةٌ، واحدة تلو أخرى ، والتحقوا بهم، وكان الأمر على هذا المنوال حتّى مات يزيد بن معاوية.

وعلى أثر السعي الخفيّ والهادئ، بالظاهر، للإمام السجّاد عليه السلام استعاد هذا الجمع عناصره المستعدّة الكامنة وجذبها ووسّعها، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**فَإِنَّ النّاسَ لَحِقُوا وَكَثُرُوا**».

وفي (العصور اللاحقة) كان هذا الجمع دائماً هو الّذي يُخيف بتحرّكاته زعماء نظام الخلافة.

(من ناحية ثانية) لم يكن يُطلق اسم الشيعة... على الشخص الّذي يكتفي بمحبّة عترة النبيّ أو يعتقد فقط بحقّانيّتهم وصدق دعوتهم... بل بالإضافة إلى ذلك، كان التشيّع يحمل شرطاً أساسيّاً وحتميّاً وهو عبارة عن الارتباط الفكري والعملي بالإمام والمشاركة في الأنشطة الّتي كان يبادر إليها الإمام ويقودها. هذا الارتباط هو ذاك الّذي يُسمّى في الثقافة الشيعيّة بـ«الولاية».

ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت

إنّما نَسخَطُ إذا عُصِيَ اللّه

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع عمرو بن عبيد المعتزلي

رواية الشيخ الكليني

روى الشيخ الكلينيّ في «كتاب الجهاد» من (فروع الكافي) الرواية الكاملة لمناظرة الإمام الصادق عليه السلام، مع أحد أكبر مشايخ المعتزلة في زمانه، أبي عثمان، عمرو بن عُبيد بن باب (ت: ١٤٤ للهجرة) الذي كان مُفسّراً ومُتكلّماً، وكان يتزهّد.

ولهشام بن الحكم مناظرة لطيفة مع ابن عبيد هذا حول الحاجة إلى الإمام، وأشار السيّد الخوئي قدس سره في (معجم رجال الحديث) إلى احتمال كونه موالياً، وإنْ كان تاريخ حاله يدلّ على أنّه من العامّة، واستدلّ على الأخير بهذه المناظرة الآتية.

صحّح هذه الرواية كلٌّ من الشيخ النجفي في (جواهر الكلام)، والسيّد الطباطبائي في (رياض المسائل)، وحسّنها العلّامة المجلسي في (مرآة العقول).

قال الشيخ الكليني قدّس سرّه:

«دخولُ عمرو بن عبيد والمعتزلة على أبي عبد الله (الصّادق) عليه السلام:

...عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي، قال: كنت قاعداً عند أبي عبد الله عليه السلام بمكّة، إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة، وناسٌ من رؤسائهم، وذلك حِدثانُ قتل الوليد واختلاف أهل الشام بينهم، فتكلّموا وأكثَروا، وخطبوا فأطالوا.

فقال لهم أبو عبد الله عليه السلام: **إنّكم قد أَكثَرتم عليّ، فأسنِدوا أمرَكم إلى رجلٍ منكم، ولْيتكلَّم بِحُجَجكُم ويُوجِز.**

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، فتكلّم فأبلغ وأطال، فكان فيما قال، أن قال: قد قتَل أهلُ الشام خليفتَهم، وضرَب اللهُ عزّ وجلّ بعضَهم ببعضٍ، وشتَّت اللهُ أمرَهم، فنظَرنا فوجَدنا رجلاً له دِينٌ وعقلٌ ومروّةٌ، ومَوضعٌ ومعدنٌ للخلافة، وهو محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ الحسنِ، فأردنا أن نجتمعَ عليه فنبايعَه، ثمّ نظهَرَ معه، فمَن كان بايعَنا فهو منّا وكنّا منه، ومَن اعتزلَنا كفَفْنا عنه، ومَن نَصَب لنا جاهدناه ونَصبْنا له على بَغيه ورَدِّه إلى الحقِّ وأهلِه، وقد أحبَبْنا أن نعرِضَ ذلك عليك فتدخلَ معنا، فإنّه لا غِنى بنا عن مثلك لموضِعك وكثرة شيعتك.

فلمّا فرَغ، قال أبو عبد الله عليه السلام: **أَكلُّكم على مثلِ ما قال عمرو؟**

قالوا: نعم.

فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ قال:

إنّما نَسخَطُ إذا عُصِيَ الله، فأمّا إذا أُطيعَ رَضِينا....

(ثمّ ساق الكلام حتى بلغ إلى قول الإمام الصادق عليه السلام)

يا عمرو دَع ذا، أرأيتَ لو بايعتُ صاحبَك الذي تدعوني إلى بيعتِه، ثمّ اجتَمعَتْ لكم الأمّةُ فلم يَختلف عليكم رجُلانِ فيها، فأفضتُم إلى المُشركينَ الذين لا يُسلِمون ولا يؤدُّون الجزيةَ، أكانَ عندكم وعند صاحبِكم من العِلم ما تسيرونَ بسيرةِ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في المشركين في حروبه؟

قال: نعم.

قال: **فتَصنعُ ماذا؟**

قال: ندعوهم إلى الإسلام، فإنْ أبَوا دعوناهم إلى الجزية.

قال: **وإنْ كانوا مجوساً ليسوا بأهلِ الكتاب؟**

قال: سواءٌ.

قال: **وإن كانوا مُشركِي العرب وعَبَدة الأوثان؟**

قال: سواءٌ.

قال: **أخبِرني عن القرآن تقرؤه؟**

قال: نعم.

قال: **اقرأْ:** ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾، **فاستثناءُ الله عزّ وجلّ واشتراطُه مِن الذين أوتُوا الكتابَ، فَهُم والذينَ لم يُؤتوا الكتاب سواءٌ؟**

قال: نعم.

قال: **عَمَّن أخذتَ ذا؟**

قال: سمعتُ الناس يقولون.

قال: **فدَعْ ذا، فإنْ هم أبَوا الجزيةَ فقاتَلتَهم فظَهرْتَ عليهم، كيف تَصنعُ بالغنيمةِ؟**

قال: أُخرِجُ الخُمُسَ وأَقسِمُ أربعةَ أخماسٍ بين مَن قاتل عليه.

قال: **أخبِرني عن الخُمس مَن تُعطيه؟**

قال: حيثما سمَّى الله. فقرأ:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ...﴾.

قال: **الذي لِلرسولِ مَن تعطيه؟ ومَن ذو القربى؟**

قال: قد اختَلَف فيه الفقهاءُ، فقال بعضُهم: قرابةُ النبيّ صلّى الله عليه وآله، وأهلُ بيتِه، وقال بعضُهم: الخليفةُ، وقال بعضهم: قرابةُ الّذينَ قاتَلوا عليه من المسلمين.

قال: **فأيَّ ذلك تقولُ أنت؟**

قال: لا أدري.

قال: **فأراكَ لا تدري، فدَعْ ذا.**

ثم قال: **أرأيتَ الأربعةَ أخماسٍ تَقسِمها بين جميع مَن قاتَل عليها؟**

قال: نعم.

قال: **فقد خالفتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في سيرته، بَيني وبينك فقهاءُ أهلِ المدينةِ ومشيَختُهم، فاسألهُم فإنّهم لا يَختلِفون ولا يَتنازعُون في أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إنّما صالَحَ الأعرابَ على أنْ يَدَعَهُم في ديارِهم ولا يُهاجروا، على إنْ دهَمَه مِن عدوِّه دَهْمٌ أن يَستَنفرَهُم فيُقاتِلَ بهم، وليس لهم في الغنيمةِ نصيبٌ، وأنت تقولُ بينَ جميعِهم فقَد خالفْتَ رَسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في كلِّ ما قلتَ في سيرتِه في المشركين، ومع هذا ما تَقولُ في الصَّدقة؟**

فقرأ عليه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾.

قال: نعم، فكيف تَقسِمُها؟

قال: أَقسِمُها على ثمانيةِ أجزاءٍ، فأُعطي كلَّ جزءٍ من الثمانية جزءاً.

قال: **وإنْ كان صنفٌ منهم عشرة آلافٍ، وصنفٌ منهم رجلاً واحداً، أو رجلَينِ أو ثلاثةً، جعلْتَ لِهذا الواحدِ مثلَ ما جَعلتَ للعشرةِ آلاف؟**

قال: نعم.

قال: **وتَجمعُ صدَقاتِ أهلِ الحَضَر وأهلِ البَوادي فتَجعلُهم فيها سواءً؟**

قال: نعم.

قال: **فقد خالفْتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في كلِّ ما قُلتَ في سيرتِه، كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يَقسِم صدقةَ أهلِ البَوادي في أهل البَوادي، وصدقةَ أهلِ الحَضَر في أهلِ الحَضَر، ولا يَقسِمُه بينَهُم بالسويّةِ، وإنّما يَقسِمُه على قدْرِ ما يَحضُرُه منهم وما يَرى، وليسَ عليه في ذلكَ شيءٌ مُوَقَّتٌ مُوظَّفٌ، وإنّما يَصنعُ ذلك بِما يَرى على قَدْر مَن يَحضُرُه منهم، فإنْ كان في نفسِك ممَّا قلتُ شيءٌ فَالْقَ فُقَهاءَ أهلِ المدينةِ، فإنّهم لا يَختلفونَ في أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كَذا كان يَصنَع.**

ثمّ أقبل على عمرو بن عبيد، فقال له: **اتَّقِ الله! وأنتُم أيُّها الرّهْطُ فاتَّقوا اللهَ! فإنّ أبي حدَّثني وكان خيرَ أهلِ الأرضِ وأعلمَهم بكتابِ الله عزّ وجلّ وسُنّة نبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: مَن ضَربَ الناسَ بِسَيفه، ودعاهُم إلى نفسِه، وفي المسلمينَ مَن هو أَعلمُ منه، فَهُو ضالٌّ مُتكلِّفٌ.**

لا أدركه الرزق كما يدركه الموت.
البيهقي، كشف النقاب

دعاء الإمام الصادق عليه السلام عند الشدائد

رواية السيّد ابن طاوس قدس سره

من أدعية الإمام الصادق عليه السلام في الشدائد، ما رواه سيّد العلماء المراقبين السيّد ابن طاوس في (مهج الدعوات)، قال: «كان الإمام الصادق عليه السلام، إذا ألمّت به شدّة أو محنة فزع إلى الله، وتضرّع إليه، وكشف عن ذراعيه، وانتحب باكياً، ودعا بهذا الدعاء الجليل»:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْ أُلْقِيَ بِيَدِي وأُعِينَ عَلَى نَفْسِي وأُخَالِفَ كِتَابَكَ، وقَدْ قُلْتَ: ﴿..ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ ﴿.. فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ..﴾، لَمَا انْشَرَحَ قَلْبِي ولِسَانِي لِدُعَائِكَ والطَّلَبِ مِنْكَ، وقَدْ عَلِمْتَ مِنْ نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي وبَيْنَكَ مَا عَرَفْتَ، اللَّهُمَّ مَنْ أَعْظَمُ جُرْماً مِنِّي وقَدْ سَاوَرْتُ مَعْصِيَتَكَ الَّتِي زَجَرْتَنِي عَنْهَا بِنَهْيِكَ إِيَّايَ، وكَانَتْ الْعَظِيمَ مِنْهَا الَّتِي أَوْجَبْتَ النَّارَ لِمَنْ عَمِلَهَا مِنْ خَلْقِكَ، وكُلُّ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِي جَنَيْتُ وإِيَّاهَا أَوْبَقْتُ، إِلَهِي فَتَدَارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا تَجْمَعُ الْخَيْرَاتِ لِأَوْلِيَائِكَ، وبِهَا تَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ عَنْ أَحِبَّائِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ فَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وارْحَمْ عَبْرَتِي، وأَقِلْنِي عَثْرَتِي.

اللَّهُمَّ لَوْلَا رَجَائِي لِعَفْوِكَ لَصَمَتُّ عَنِ الدُّعَاءِ، ولَكِنَّكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَا إِلَهِي غَايَةُ الطَّالِبِينَ، ومُنْتَهَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ، واسْتَعَاذَةِ الْعَائِذِينَ، اللَّهُمَّ فَأَنَا أَسْتَعِيذُكَ مِنْ غَضَبِكَ وسُوءِ سَخَطِكَ وعِقَابِكَ ونَقِمَتِكَ، ومِنْ شَرِّ نَفْسِي، وشَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، وأَسْأَلُكَ الْغَنِيمَةَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي بِالْعَافِيَةِ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي، وأَسْأَلُكَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ والرَّحْمَةَ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي، فَإِنَّكَ لِذَلِكَ لَطِيفٌ وعَلَيْهِ قَادِرٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ كُلَّ حَاجَةٍ لَا يُجِيرُنِي مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنْ هُوَ عُدَّتِي فِي كُلِّ عُسْرٍ ويُسْرٍ، يَا مَنْ هُوَ حَسَنُ الْبَلَاءِ عِنْدِي، يَا قَدِيمَ الْعَفْوِ عَنِّي، إِنَّنِي لَا أَرْجُو غَيْرَكَ، ولَا أَدْعُو سِوَاكَ، إِذَا لَمْ تُجِبْنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تَحْرِمْنِي لِقِلَّةِ شُكْرِي، ولَا تُؤْيِسْنِي لِكَثْرَةِ ذُنُوبِي، فَإِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

إِلَهِي أَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ، بِئْسَ الْعَبْدُ أَنَا، وخَيْرُ الْمَوْلَى أَنْتَ؛ فَيَا مُخْشِيَّ الانْتِقَامِ، ويَا مَرْهُوبَ الْبَطْشِ، يَا مَعْرُوفاً بِالْمَعْرُوفِ، إِنِّي لَيْسَ أَخَافُ مِنْكَ إِلَّا عَدْلَكَ، ولَا أَرْجُو الْفَضْلَ والْعَفْوَ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ، وأَنَا عَبْدُكَ ولَا عَبْدَ لَكَ أَحَقُّ بِاسْتِيجَابِ جَمِيعِ الْعُقُوبَةِ وبِذُنُوبِي مِنِّي، ولَكِنِّي وَسِعَنِي عَفْوُكَ وحِلْمُكَ، وأَخَّرْتَنِي إِلَى الْيَوْمِ، فَلَيْتَ شِعْرِي يَا إِلَهِي لِأَزْدَادَ إِثْماً أَخَّرْتَنِي، أَمْ لِيَتِمَّ لِي رَجَائِي مِنْكَ ويَتَحَقَّقَ حُسْنُ ظَنِّي بِكَ، فَأَمَّا بِعَمَلِي فَقَدْ أَعْلَمْتُكَ يَا إِلَهِي أَنَّنِي مُسْتَحِقٌّ لِجَمِيعِ عُقُوبَتِكَ بِذُنُوبِي، غَيْرَ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وأَنْتَ بِي أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي، وعِنْدَ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ رَجَاءُ الرَّحْمَةِ، فَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ لَا تُشَوِّهْ خَلْقِي بِالنَّارِ، ولَا تَقْطَعْ عَصَبِي بِالنَّارِ يَا اللهُ، ولَا تَفْلِقْ قِحْفَ رَأْسِي بِالنَّارِ يَا رَحْمَنُ، ولَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَوْصَالِي بِالنَّارِ يَا كَرِيمُ، ولَا تُهَشِّمْ عِظَامِي بِالنَّارِ يَا عَفُوُّ، ولَا تَصِلْ شَيْئاً مِنْ جَسَدِي بِالنَّارِ، يَا رَحْمَنُ، عَفْوَكَ عَفْوَكَ، ثُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يَا مُحِيطاً بِمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ، ومُدَبِّرَ أُمُورِهِمَا أَوَّلِهَا وآخِرِهَا، أَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ وآخِرَتِي، وأَصْلِحْ لِي نَفْسِي ومَالِي ومَا خَوَّلْتَنِي، يَا اللهُ خَلِّصْنِي مِنَ الْخَطَايَا، يَا اللهُ مُنَّ عَلَيَّ بِتَرْكِ الْخَطَايَا، يَا رَحِيمُ تَحَنَّنْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ، يَا عَفُوُّ تَفَضَّلْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ، يَا حَنَّانُ جُدْ عَلَيَّ بِسَعَةِ عَافِيَتِكَ، يَا مَنَّانُ امْنُنْ عَلَيَّ بِالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، يَا ذَا الْجَلَالِ والإِكْرَامِ أَوْجِبْ لِيَ الْجَنَّةَ الَّتِي حَشْوُهَا رَحْمَتُكَ وسُكَّانُهَا مَلَائِكَتُكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ والإِكْرَامِ أَكْرِمْنِي ولَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ عَلَيَّ سَبِيلًا أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَكَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وأَنْتَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

ممّا يختصّ بتعقيب صلاة الظهر

الدعاء لنور آل محمّد صلى الله عليه وآله

السيد محمّد تقي الموسوي الأصفهاني رحمه الله

ورد حول الدعاء للإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف أنه من مصاديق النُّصرة باللّسان، وينقسم إلى قسمين: الدعاء لمعرفته والثبات على ولايته صلوات الله عليه، والدعاء له لحفظه ونصره. ومن أبرز أوقات الدعاء للإمام عليه السلام ليالي الجُمَع وصبيحتها، وفي تعقيب الفرائض.

هذا المقال المقتطف من كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام) للسيّد محمّد تقي الأصفهاني (ت: ١٣٤٨ للهجرة)، يتضمّن دعاءً للإمام صاحب الزمان في تعقيب صلاة الظهر، مرويّاً عن الإمام الصادق عليهما السلام.

من الأوقات التي يتأكّد فيها الدعاء بتعجيل فرج مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه بعد خصوص صلاة الظهر - ويدلّ على ذلك ويشهد له:

* ما رُوي في (البحار) للعلامة المجلسي، و(المستدرك على الوسائل) للمحدّث الطبرسي، و(جمال الصالحين) للميرزا اللاهيجي، عن الصادق عليه السلام: «**مَنْ قالَ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ، لَمْ يَمُتْ حَتّى يُدْرِكَ القائِمَ عَلَيْهِ السَّلامُ**».

ويدلّ على ذلك أيضاً:

* ما رُوي في (صلاة البحار)، نقلاً عن كتاب (فلاح السائل) للسيد الأجل عليّ بن طاوس رضي الله عنه، قال: «من المهمّات عقيب صلاة الظهر الاقتداء بالصادق عليه السلام في الدعاء للمهديّ الذي بشّر به محمّدٌ رسول الله صلّى الله عليه وآله أمّتَه، في صحيح الروايات، ووعدهم أنه يظهر في أواخر الأوقات». ثمّ أسند الخبر إلى عبّاد بن محمّد المدايني، قال:

«دخلتُ على أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) بالمدينة حين فرغ من مكتوبة الظهر وقد رفع يدَيه إلى السماء، وهو يقول:

(أَيْ سامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، أَيْ جامِعَ كُلِّ فَوْتٍ، أَيْ بارِئَ كُلِّ نَفْسٍ بَعْدَ المَوْتِ، أَيْ باعِثُ، أَيْ وارِثُ، أَيْ سَيِّدَ السَّاداتِ، أَيْ إِلَهَ الآلِهَةِ، [أي الآلهة المدّعاة، والإشارة إليها ليس إقراراً بحقّانيّتها، وإنما تقرير أنّ من الناس مَن اتّخذ آلهةً من دون الله تعالى، كما تشهد بذلك آيات قرآنية عديدة. وقيل إن المراد بالآلهة هنا كلّ مَن يُتوهّم أنّ له تأثيراً على نحو الاستقلال] **أَيْ جَبّارَ الجَبابِرَةِ، أَيْ مالِكَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، أَيْ رَبَّ الأَرْبابِ، أَيْ مَلِكَ المُلوكِ، أَيْ بَطّاشُ، أَيْ ذا البَطْشِ الشَّديدِ، أَيْ فَعّالاً لِما يُريدُ، أَيْ مُحْصِيَ عَدَدِ الأَنْفاسِ وَنَقْلِ الأَقْدامِ، أَيْ مَنْ السِّرُ عِنْدَهُ عَلانِيَةٌ، أَيْ مُبْدِئُ، أَيْ مُعيدُ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلى خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَبِحَقِّهِمُ الَّذي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلى نَفْسِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ - السّاعَةَ- بِفَكاكِ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، وَأَنْجِزْ لِوَلِيِّكَ وَابْنِ نَبِيِّكَ - الدّاعي إِلَيْكَ بِإِذْنِكَ، وَأَمينِكَ في خَلْقِكَ، وَعَيْنِكَ في عِبادِكَ، وَحُجَّتِكَ عَلى خَلْقِكَ عَلَيْهِ صَلَواتُكَ وَبَرَكاتُكَ - وَعْدَهُ.**

اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِنَصْرِكَ، وَانْصُرْ عَبْدَكَ، وَقَوِّ أَصْحابَهُ وَصَبِّرْهُمْ، وَافْتَحْ لَهُمْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً، وَعَجِّلْ فَرَجَهُ، وَأَمْكِنْهُ مِنْ أَعْدائِكَ، وَأَعْداءِ رَسولِكَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ).

فقلت (أي الراوي المدايني): أليسَ قد دعوتَ لنفسك، جُعلت فداك؟

قال عليه السلام: **دَعَوْتُ لِنورِ آلِ مُحَمَّدٍ، وَسابِقِهِمْ، وَالْمُنْتَقِمِ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ أَعْدائِهِمْ.**

قلت: متى يكونُ خروجه، جعلني الله فداك؟

قال عليه السلام: **إِذا شاءَ مَنْ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ.**

قلت: فله علامةٌ قبل ذلك؟

قال عليه السلام: **نَعَمْ، عَلاماتٌ شَتَّى.**

قلت: مثل ماذا؟

قال: **خُروجُ رايَةٍ مِنَ المَشْرِقِ، ورايَةٍ مِنَ المَغْرب؛ وَفِتْنَةٌ تُضِلُّ أَهْلَ الزَّوْراءِ** [بغداد]، **وَخُروجُ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ عَمّي زَيْدٍ باليَمَنِ، وَانْتِهابُ سِتارَةِ البَيْتِ، وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ**».

ثمّ أشار العلامة المجلسي إلى أنّ من مصادر هذه الرواية: (مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي، و(جنّة الأمان)، و(البلد الأمين) للشيخ الكفعمي، و(الاختيار) للسيد ابن الباقي؛ عدّوه جميعاً من مختصّات تعقيب صلاة الظهر، وفي الجميع (يا) مكان (أي) في المواضع كلها.

أقول: سند الحديث وإن كان ضعيفاً بحسب الاصطلاح، لكن لا بأس به بمقتضى قاعدة التسامح، المقرّرة المُثبتة في أصول الفقه، ولذلك عوّل عليه مشايخ علمائنا الذين عرفتَ أسماءهم الشريفة، رحمهم الله تعالى.

وجوه الاستفادة من هذه الرواية

ومهما كان، فيستفاد من هذا الخبر، ومن الدعاء المذكور أمور:

الأوّل: استحباب الدعاء في حقّ الحجّة عليه السلام، ومسألة تعجيل فرجه بعد صلاة الظهر. **الثاني**: استحباب رفع اليدَين حال الدعاء له عليه السلام.

الثالث: استحباب الاستشفاع بهم عليهم السلام، والمسألة بحقّهم، قبل طلب الحاجة.

الرابع: استحباب تقديم التحميد والثناء على الله عزّ وجلّ.

الخامس: استحباب تقديم الصلاة على محمّد وآله عليهم السلام على طلب الحاجة.

السادس: تطهير النفس من الذنوب بالاستغفار ونحوه ليكون نقيّاً مستعدّاً للإجابة، يدلّ على ذلك طلبه المغفرة وفكاك الرقبة من النار. (..)

السابع: إنّ المراد بالوليّ المطلق في كلامهم ودعواتهم، هو مولانا صاحب الزمان عليه السلام.

الثامن: استحباب الدعاء في حقّ أصحابه وأنصاره.

التاسع: كون الإمام شاهداً على أعمال العباد، مبصراً لهم، ولأفعالهم في كلّ حال، يدلّ عليه قوله عليه السلام: «..**وعينك في عبادك**».

العاشر: إنّ من ألقاب مولانا الحجّة عليه السلام «**نورُ آل محمّد**»، وقد ورد في الروايات ما يشهد لذلك، وقد ذكر المحقّق النوريّ رضي الله عنه بعضها في كتابه المسمّى بـ(النجم الثاقب).

الحادي عشر: كونه أفضل من سائر الأئمّة عليهم السلام بعد أمير المؤمنين والحسنين صلوات الله عليهم أجمعين، ويؤيّده بعض الروايات أيضاً.

الثاني عشر: إنّ الله عزّ اسمه قد ادّخره وأخّره للانتقام من أعدائه وأعداء رسوله، والروايات بذلك متواترة.

الثالث عشر: إن زمان ظهوره من الأمور الخفيّة التي اقتضت المصلحة الإلهيّة إخفاءها، وقد تواترت الروايات في ذلك أيضاً.

الرابع عشر: إنّ تلك العلامات المذكورة ليست من العلائم المحتومة، لقوله عليه السلام في آخر الكلام، ويفعل الله ما يشاء.

إطلاقُ لفظ «الولي» في كلمات المعصومين عليهم السلام، يُراد به مولانا صاحب الزمان عليه السلام

من ألقاب مولانا الحجّة عليه السلام «نورُ آل محمّد»، وقد ورد في الروايات ما يؤيّد ذلك

الوِفادة إلى الله عزّ وجلّ

شرح قَبَسات من "رسالة الحقوق"

العلامة المجلسي الأول

هذا المقال عبارة عن شرح لفقرة «حقّ الصلاة» من (رسالة الحقوق) للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام. والشارح هو العلامة المجلسي الأول، محمّد تقي (والد صاحب البحار)، في كتابه (روضة المتقين)، والأخير شرح على كتاب (مَن لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليهما.

نشير إلى أننا اختصرنا فقرات الشرح، مع استبدال بعض العبارت لتيسير المعنى.

«شعائر»

في (الفقيه) للشيخ الصدوق – وفي غيره – بسنده عن ثابت بن دينار الثمالي (أبو حمزة)، عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أنه قال: «**وَحَقُّ الصَّلاةِ أن تَعلَمَ أنَّها وِفادَةٌ إلَى اللهِ عزّوجلّ، وأنتَ فيها قائِمٌ بَينَ يَدَيِ اللهِ عزّوجلّ، فَإذا عَلِمتَ ذلِكَ قُمتَ مَقامَ العَبدِ الذَّليلِ الحَقيرِ الرّاغِبِ، الرّاهِبِ الرّاجي، الخائِفِ المُستَكينِ المُتَضَرِّعِ، المُعَظِّمِ لِمَن كانَ بَينَ يَدَيهِ بِالسُّكونِ والوَقارِ، وتُقبِلُ عَلَيها بِقَلبِكَ، وتُقيمُها بِحُدودِها وحُقوقِها**».

الشرح

* «**وحقُّ الصلاة أن تعلم أنّها وِفادة إلى الله عزّ وجلّ**»: لمّا كانت أفعال الحكيم تعالى مشتملةً على مصالح لا تتناهى، وخلَق الإنسان لكي يجود عليه ويفضّله على العالمين، وكان يقبُح التفضّل والتفضيل بلا سابقة من المتفضَّل عليه، قرّر لهم العبادة ومنها الصلاة، وهي مشتملة على حِكَم كثيرة، منها أن تعلم أنّها نزولٌ إلى ساحة فضله وإنعامه..

* «**وأنت فيها قائمٌ بين يدَي الله عزّ وجلّ**»: لمّا كان العبد حالَ العبادة في امتثال أمره وحالَ المناجاة متكلّمٌ مع ربّه – وهو عالمٌ به وبضمائره – فكأنّه عنده وبين يديه، فالعبد ينبغي أن يكون حاضرَ القلب مع المولى في العبادة والمناجاة، وعليه أن يقطع عن نفسه الشواغل المُلهية عن سيّده، ويلاحظ خِستّه وما عمل من السيئات والقبائح، ويلاحظ جلالة سيّده وعظَمته وكبريائه مع ما أنعم عليه بالنِّعم التي لا تُحصى.

* «**فإذا علمتَ ذلك قمتَ مقامَ..**»: بالضم والفتح، أي القيام أو المحلّ.

* «**العبدِ الذليل**»: في نفسه بكونه مخلوقاً من ماء مهين، مشتملاً على القاذورات الكثيرة.

* «**الحقير**»: بسبب الأخلاق الرذيلة والأعمال القبيحة الصادرة عنه مدّة عمره.

* «**الراغب**»: إلى إحسان سيّده. * «**الراهب**»: من عقابه.

* «**الراجي**»: فضلَه سبحانه، لقوله ﴿.. لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ..﴾ وإنْ فعَل المعاصي وتخلّق بالقبائح، أو الراجي قبولَ طاعته لفضله وإحسانه تعالى.

* «**الخائف**»: بالخوف التامّ من العقوبات المهلكة بسبب الأعمال الشنيعة، أو من الردّ لعدم استحقاق الإحسان.

* «**المُستكين**»: بالتضرّع القلبي. * «**المتضرّع**»: بالجوارح، بأن تكون كلّ جارحة على الوجه المطلوب منها، أو مع البكاء.

* «**المعظّم لمن كان بين يدَيه**»: بأن يلاحظ عظمتَه بأنّه ربّ العالمين ومالكُ يوم الدين، وأنّه القادر القاهر والجواد المُحسن، خصوصاً في التكبيرات والتسبيحات.

* «**بالسّكون**»: القلبي، بأن لا يلتفت قلبُه إلى غير جنابه الأقدس.

* «**والوقار**»: البدنيّ في أحوال الصلاة بأن يُطرق برأسه، وينظر حالَ القيام إلى موضع سجوده، ولا يستمع إلى كلام أحدٍ غير ما يقوله مع خالقه، وتكون يده ورجِله وحركاته وسكناته على الوجه المطلوب.

* «**وتُقبلَ عليها بقلبك**»: بأن يكون في أوقات الأذكار والقراءة والدعاء متذكّراً لمعانيها وإشاراتها، وفي أوقات الأفعال متذكّرا لحقائقها وإشاراتها... بل تحصل بإلهام الله تعالى إذا كان حاضرَ القلب مع الله تعالى.

* «**وتُقيمها بحدودها وحقوقها**»: من رعاية الأوقات والطهارات الظاهرة والباطنة والأفعال الصورية والمعنوية من الإخلاص، والحضور، وقد تقرّر ذلك في محلّه.

المانعة من نَفَحات النار

في خواصّ "سورة التوحيد" وفضيلتها

إعداد: «شعائر»

سورة (قل هو الله أحد)، عدد آياتها أربع، وهي السورة الثانية عشرة بعد المائة في ترتيب المصحف الشريف، وتسمّى أيضاً سورة «الإخلاص»، و«التوحيد»، و«الصَّمَد»، ورويت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام أحاديث كثيرة في فضلها وثواب قرائتها. من ذلك:

* عن سهل بن سعد الساعديّ، قال: «جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فشكا إليه الفقرَ وضِيقَ المعاش.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **(إذا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ إِنْ كانَ فيهِ أَحَدٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ أَحَدٌ فَسَلِّمْ وَاقْرَأْ "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" مَرَّةً واحِدَةً).**

ففعل الرجل، فأفاض الله عليه رزقاً حتّى أفاض على جيرانه».

* عن الرضا عليه السلام، قال: «**قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ مَرَّ عَلى المَقابِرِ وَقَرَأَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) إِحْدَى عَشْرَةَ مَرّة، ثُمَّ وَهَبَ أَجْرَهُ للأَمْواتِ، أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ الأَمْواتِ**».

* عن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «**مَنْ مَضَتْ بِهِ ثَلاثَةُ أَيّامٍ وَلَمْ يَقْرَأْ فيها (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فَقَدْ خُذِلَ وَنَزَعَ رِبْقَةَ الإيمانِ مِنْ عُنُقِهِ، وَإِنْ ماتَ في هَذِهِ الثَّلاثَةِ كانَ كافِراً بِاللهِ العَظيمِ**».

* عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**مَنْ صَلَّى الفَجْرَ ثُمَّ قَرَأَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً (في دُبُرِ الفَجْرِ)، لَمْ يَتْبَعْهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ ذَنْبٌ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الشَّيْطانِ**».

* عن بزيع بن عمر بن بزيع، قال: «دخلتُ على أبي جعفر الباقر عليه السلام وهو يأكل خَلاًّ وزيتاً في قَصْعةٍ سوداء، مكتوبٌ في وسطها بصُفرة: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، فقال لي: (**ادْنُ يا بَزيعُ!**)، فدنوتُ فأكلتُ معه..».

* عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدَعْ أَنْ يَقْرَأَ في دُبُرِ الفَريضَةِ بـ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَها جَمَعَ اللهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَغَفَرَ له وَلِوالدَيْهِ وما وَلَدَ**».

* وعنه عليه السلام: «**يُكْرَهُ أَنْ يُقْرَأَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) بِنَفَسٍ واحِدٍ**».

* وعنه عليه السلام، قال: «**مَنْ مَضى بِهِ يَوْمٌ واحِدٌ فَصَلّى فيهِ بِخَمْسِ صَلَواتٍ وَلَمْ يَقْرَأْ فيها بـ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، قيلَ لَهُ: يا عَبْدَ اللهِ! لَسْتَ مِنَ المُصَلّينَ**».

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ قَرَأَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فَلَهُ شِفاءٌ مِنَ النِّفاقِ، وَرَحْمَةٌ بِالثَّباتِ عَلى الإِخْلاصِ**».

* ورُوي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله رأى رجلاً يقرأها، فقال: «**هذا عَبْدٌ قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**».

* وقال صلّى الله عليه وآله: «**هي المانِعَةُ؛ تَمْنَعُ مِنْ عَذابِ القَبرِ وَنَفَحاتِ النّارِ**».

* وعنه صلّى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام: «**مَنْ أَرادَ سَفَراً فَأَخَذَ بِعِضادَتَيْ بابِ مَنْزِلِهِ فَقَرَأَ إِحْدى عَشْرَةَ مَرَّةً (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، كانَ اللهُ لَهُ حارِساً حَتّى يَرْجِعَ**».

مع الفقيه الشّيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله:

الإسلام يُعنى بتهذيب الروح، وتكميل القوّة العاقلة

إعداد: «شعائر»

× الفقيه العلَم الشّيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء النّجفيّ (١٢٩٤ - ١٣٧٣ للهجرة). وصفَه آية الله السّيّد شهاب الدّين المرعشيّ قدّس سرّه بـ«العلّامة»، و«فخر العلماء الرّاشدين».

× كان يختلف كثيراً إلى دار المحدّث النّوريّ (صاحب المستدرك)، وحضر على الشّيخ محمّد كاظم الخراسانيّ (صاحب الكفاية)، والسّيّد محمّد كاظم اليزديّ (صاحب العروة الوثقى)، واختصّ بالأخير، وألّف في حياته شرحاً على (العروة)، وشرع بالتّدريس في «مسجد الهنديّ».

× من آثاره: (الأرض والتّربة الحسينيّة)، (أصل الشّيعة وأصولها)، (جنّة المأوى)، (نقْض فتاوى الوهّابيّة)، (الفردوس الأعلى)، وهذا الأخير عبارة عن إجاباته على أسئلة فقهيّة وعقائديّة كانت ترِد إليه من مختلف الأقطار، ومنه انتقينا الأسئلة والإجابات الواردة في هذا الباب.

*** ما وجهُ القسَم بالتّين وبالزيتون في القرآن الكريم؟ وما سبب امتيازُهما من بين المخلوقات؟**

جَرتْ سنّة الله تعالى في كتابه أن يُقسم بمخلوقاته العظيمة البركة، العميمة الفائدة، كالشمس والقمر، والنون والقلم، والرياح الذاريات، والمرسَلات، كما يُقسِم بالقرآن الذي هو شمس الهداية الحقيقية، وهداية الأرواح، والنفوس والعقول، بل بما دون ذلك؛ كالصّبح، والليل، (والنجوم والكواكب)، وأمثال ذلك ممّا هو كثير في الكتاب الكريم، وحيث إنّ التين والزيتون من الأطعمة العظيمة الخير والبركة - فإنّ التين فاكهة وحلوى رطبة نافعة، وجافّة أنفع، وهو غذاء ودواء وطعام وإدام وفيه منافع كثيرة، ومثله الزيتون ولعلّه أشرف وألطف وأعظم بركة ونفعاً باعتبار دُهنه الذي لا تُعدّ ولا تحصى منافعه وخيراته وخواصّه وآثاره، وهو مع أنّه من أحسن الإدام والصبغ للآكلين، فيه منافع عظيمة وخواصّ بليغة في المعالجات - فلهذا حَسُن القسَم بهما لعظيم فائدتهما، هذا كلّه بناءً على أنّ المراد بهما تلك الثمرتان، أو الشجرتان المباركتان.

ومن الجائز القريب، بل لعلّه الأقرب، أنّ المراد بالتين جبلٌ يكثُر فيه شجرة التين من جبال القدس وحبرون (مدينة الخليل في فلسطين)، الذي تجلّى عليه الجليل لإبراهيم الخليل عليه السلام، والمراد بـالزيتون «جبل زيتا» الذي تجلّى الربّ فيه لإسرائيل يعقوب أبي الأسباط، وللمسيح فيه مواقف كثيرة، ويشهد له (أي لهذا الوجه) عطفُ طور سِينين عليهما، وهو الجبل الذي تجلّى فيه الجليل لكليمه موسى عليه السلام، ثمّ عطف عليهما البلد الأمين وفيه جبل حِراء الذي تجلّى فيه الحقّ لحبيبه محمّدٍ صلى الله عليه وآله، فهذه الجبال الأربعة هي مظاهر الأنوار الإلهية، والتجلّيات الربوبية على الأرواح النبوية والهياكل البشرية، ولا شيء أحقّ منها للحقّ بأن يُقسم بها من مخلوقاته، والله أعلم وأحكم بأسرار كلماته وسائر آياته.

*** قوله تعالى في سورة الجمعة المباركة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الآية:١١]، بيّنوا لنا النُّكتة في تقديم «التجارة» على «اللّهو» في صدر الآية، وتأخيرها عنه في ذيلها!**

النكتة في تقديم التجارة على اللهو وتأخيرها في التنزيل في آية الجمعةِ واضحةٌ وبديهية، فإنّ التجارة لمّا كانت عملاً عقلائياً -

وهي أشرف من اللّهو - ناسَب أن يكون الترقّي منها إلى اللهو في الجملة الأولى، فكأنّه تعالى يقول: إذا رأوا تجارة بل ما هو أخسّ من التجارة - وهو اللّهو - تركوا الصلاة واشتغلوا باللّهو. أمّا في الجملة الثانية فالمناسبة تقتضي العكس، فكأنّه تعالى يقول: ما عند الله خير من اللّهو بل خير من التجارة التي هي أشرف من اللّهو. وهذه من نكات بلاغة القرآن المجيد..

*** هل القولُ بالنشوء والارتقاء وأدوار الأرض الجيولوجية موافقٌ لمذهب الإسلام أم مخالفٌ له؟**

الإسلام عقيدة وعمل، يُعنى بتهذيب الروح وتكميل القوة العاقلة، ولا علاقة له بالعلوم الطبيعية وخواصّ المادة، والمهمّة التي جاءت بها الأديان ونزلت بها الكتب هي معالجة النفوس من الأمراض الخبيثة التي هي السبب الوحيد فيما يقع في الحياة الاجتماعية من الشرور، وسفك الدماء؛ كالحسد، والحرص، والطمع، والشهوة ونظائرها، وتبديلها بأضدادها الموجبة للصحّة والاستقامة وتعديل القُوّتيْن الغضبية والشهوية... نعم القرآن العزيز مَثَله الأعلى ومهمّته الأولى هي الدعوة إلى الله وتقوية الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، ونشر الفضيلة، وقمع الرذيلة، ولكن بما أنّه كتابُ الأبد وسِفرُ الخلود والمعجزة الباقية، تعرّض تلويحاً مرّةً وتصريحاً أخرى، وبيْن التصريح والتلويح ثالثةً إلى فلسفة التكوين وبدء الخليقة، وبعض أسرار الطبيعة.

ولا يبعد أن يكون أمثال قوله تعالى: ﴿.. خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..﴾ [الأعراف:٥٤]، ثم فصّلها في سورة فصّلت [الآيات: ٩-١٠، و١٢] بقوله تعالى: ﴿.. خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ..﴾، إلى قوله تعالى: ﴿..وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ ..﴾، إلى قوله ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ..﴾. وقوله عزّ شأنه: ﴿..خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ..﴾ [الطلاق:١٢].... نعم، لا يبعد أن يكون عزّ شأنه أشار بهذه الآيات إلى أدوار الأرض، وطبقاتها ومبادئ تكوينها، من الغاز ثمّ البخار ثمّ الجليد ثمّ التراب وهكذا وفق ما اهتدى إليه العلم الحديث، وما سيكشفه البحث والتنقيب في المستقبل، فإنْ كان المراد بهذه الآيات تلك المعاني والمقاصد فذاك، وإلّا فلا يقدح بكرامة القرآن العظيم خلوّه من ذلك، فإنه مَسوقٌ لغير هذه الغاية.. فليس في القرآن الكريم نصّ صريح بتلك الأمور حتّى نقول إنّها توافق الإسلام أو تخالف.

*** لأيّ علّة مُنع لبس خاتم الذهب وزرّ الذهب للرجال؟**

حقّ السؤال أن يكون هكذا - لماذا منع الدين الإسلامي مِن لبسِ الرجال الحرير والذهب؟

والجواب: أنّ الدين الإسلامي يريد من الرجال الخشونة والصلابة، وأن يكونوا أشدّاء وأقوياء، ولمّا كان في الحرير والذهب من النعومة والطراوة والميوعة واللمعان ما ليس في غيرهما حرّمهما على الرجال لعلمه تعالى بذلك، ولعلّه من المشاهَد المحسوس أنّ

المهمّة التي جاءت بها الأديان ونزلتْ بها الكُتب السماوية هي معالجة النفوس من الأمراض الخبيثة، وتعديل القُوّتيْن الغَضبية والشَّهَويّة...

تجبُ التقية عندما يستتبعُ تركُها تلَفَ النفس، وتحرُم عندما يكون العمل بها موجباً لرواج الباطل

الزينة بمثل هذه الأشياء يوجب التأنّث والتخنّث وسفالة الهمّة، والميل والانقياد إلى الشهوات البهيمية، ويُسقط همّة الرجل فيها عن السموّ إلى نيل المعالي وعظائم الفتوح وعزائم الروح، ولا يُقاس هذا بلبس الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة، فإنّها توجب العزّة والكرامة والسموّ وعلوّ الهمّة، وأين هذا من نعومة الحرير ولمعان الذهب التي تلائم ربّات الحجال، ويجب أن يترفّع عنها الرجال حتّى لو لم يحرّمهما الشارع، فللّه شريعة الإسلام ما أعظمَها وأجلَّها، ولله هذه الأمّة المسلمة ما أضعفها وأجهلها، والحُكم لله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، عليه توكّلت واليه أنيب.

*** الموضوعات العُرفية في نظر المجتهد إذا خالف نظرَ المقلِّد هل يجبُ عليه اتّباعُ المجتهد؟ وكذا الموضوعات الخارجية إذا ثبت حكمٌ عند المجتهد، والمقلِّد لا يعتقد ذلك الحكم، فهل يجب على المقلِّد تنفيذ هذا الحكم أم لا؟**

الموضوعات العرفية لا تقليدَ فيها، فإذا اعتقد المقلّد أنّ هذا المائع ماء وقال المجتهد هو خمر لا يجب عليه اتّباع المجتهد؛ نعم في بعض الموارد يكون كشهادة العدل الواحد، وكذلك الموضوعات الخارجية من حيث نفس الموضوع، أما من حيث الحكم فإنْ كان شرعياً وجب على المقلّد اتّباعه، وإلا فلا تقليد في غير الأحكام الشرعية...

*** هل يساعد ظاهر القرآن، أو الدليل العقلي على كون نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله خاتِم الأنبياء «بالكسر» أم لا؟**

نعم ظاهر القرآن في قوله تعالى : ﴿..وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ..﴾ [الأحزاب: ٤٠] على القراءتين الفتح والكسر «اسم فاعل واسم مفعول» هو أنّه صلوات الله عليه وآله قد خُتمت به النبوّة، وأمّا الدليل العقلي فهو واضحٌ لمن تدبّر نواميس هذه الشريعة وأحكامها وأنّها بلغت الغاية في الإحاطة بمصالح البشر والنظام الاجتماعي الذي لا تتصوّر العقول أرقى منه وأكمل. فلا بدّ أن تكون هي الغاية والخاتمة كما قال جلّ شأنه ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..﴾ [المائدة: ٣] وإذا أُكمِلَ الشيء فقد تمّ وانتهى ولا مجال لجعل غيره، إذ المجعول إمّا مثله أو أنقص فهو قبيح، وأمّا الإكمال فهو حاصلٌ في هذه الشريعة...

*** ما هي فلسفة الأضحية في مِنى ونحن نرى كثرة الحجّاج وعدم المصرف للحوم ذبائحهم فيها، فتُطرح على الأرض ويفسُد بها الهواء وتتولّد الأمراض، وفي هذا الزمان يقولون: يجمعها ابن سعود في بئر ويطرح عليها التراب. فأيّ فائدة فيها اجتماعية أو فردية؟ فلو عيّن الشارع الإسلامي على كلّ أحدٍ من الحُجّاج بدل «الهَدي» مقداراً معيّناً من النقود فيُجمع للصرف في مصالح العامّة للمسلمين، أليس أحسن؟**

... من يراجع الآيات الكريمة الواردة في هذا الموضوع يعرف جلياً أنّ الحكمة والغرض من هذا الحكم هو التوسعة على الفقراء والهَلكى... وإشباع نهمَهم وسدّ فورتهم، يقول جلّ شأنه: ﴿..فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨]، ثمّ يقول سبحانه: ﴿..فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ..﴾ [الحج:٣٦]، فقول السائل إنّه لا مصرَف لها غيرُ صحيح...

أمّا تعيين مقدار من النقود بدَلها فهو خلاف غرَض الشارع الذي يحبّ إطعام الطعام، وبذل الزاد لإشباع الجائع... على أنّ الشارع ببركة ما أوجب على أغنياء المسلمين في الحجّ إلى تلك المشاعر والشعائر، وما يُنفقون فيها من الأموال الطائلة قد صبّ عليهم البركة صبّاً... فأوجب الأضاحي تكميلاً للغاية، واتّساعاً في المنفعة، واستقصاءً في الأخذ بأسباب الجود وعموم الكرم، ولعلّ هذا هو السرّ أو بعض المصالح والحكمة التي نظرتْ إليها العناية العليا والرعاية الأزلية حتّى صارت القرابين والأضاحي من النواميس المقدّسة في أكثر الشرائع والأديان وحثّت على الإكثار منها، ولئن كان هذا بالغاً مرتبة الرجحان في سائر الأقطار والبلدان فهو في الحجاز ولا سيّما البيت الحرام - وهو بوادٍ غيرِ ذي زَرع - ينبغي، بل يلزم أن يكون بحدّ الوجوب، وهكذا كان الأمر من لدن حكيم عليم، نعم يلزم على أولياء الأمور في تلك المشاعر التنظيم والعناية بما يستوجب الانتفاع بتلك الذبائح ورفع مضارّها أو بيع ما لا يُمكن الانتفاع منه إلا بالاحتفاظ به بعمل وتدبير، كجلودها وأصوافها، فيلزم إصلاحه أوّلاً ثم بيعه وتوزيع ثمنه على الفقراء أو المصالح العامّة بإجازة حاكم الشرع أو الحاكم العادل.

*** ما معنى (التقية)، وما هي مواردها؟**

من الأمور التي يشنّع بها بعض الناس على الشيعة ويزدرى عليهم بها قولهم (بالتقية)، جهلاً منهم أيضاً بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها، ولو تثبّتوا في الأمر، وتريّثوا في الحكم، وصبروا وتبصّروا لعرفوا أنّ التقية التي تقول بها الشيعة لا تختصّ بهم، ولم ينفردوا بها، بل هو أمرٌ (تفرضه) ضرورة العقول، وعليه جِبلّة الطباع، وغرائز البشر. وشريعة الإسلام في أُسس أحكامها، وجوهريات مشروعيتها، تماشي العقل والعلم جنباً إلى جنب، وكتفاً إلى كتف، رائدها العلم، وقائدها العقل، ولا تنفكّ عنهما قيد شعرة، ومن ضرورة العقول وغرائز النفوس: أنّ كلّ إنسان مجبولٌ على الدفاع عن نفسه، والمحافظة على حياته، وهي أعزّ الأشياء عليه، وأحبّها إليه.

نعم قد يهون بذلها في سبيل الشرف، وحِفظ الكرامة، وصيانة الحق، ومهانة الباطل، أما في غير أمثال هذه المقاصد الشريفة، والغايات المقدّسة، فالتغرير بها، وإلقاؤها في مظانّ الهلكة، ومواطن الخطر، سَفَهٌ وحماقة لا يرتضيه عقلٌ ولا شرع، وقد أجازت شريعة الإسلام المقدّسة للمسلم في مواطن الخوف على نفسه أو عِرضه إخفاءَ الحقّ، والعمل به سرّاً، ريثما تنتصر دولةُ الحقّ وتغلب على الباطل، كما أشار إليه جلّ شأنه بقوله: ﴿..إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ..﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله: ﴿.. إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ..﴾ [النحل:١٠٦].

وقصّة عمّار وأبويه، وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة، وحمْلهم لهم على الشرك وإظهارهم الكفر مشهورة.

والعمل بالتقية له أحكامه الثلاثة:

فتارة: يجب، كما إذا كان تركُها يستوجبُ تلَفَ النفس من غير فائدة.

وأخرى: يكون رخصة، كما لو كان في تركها والتظاهر بالحقّ نوع تقوية له، فله أن يضحّي بنفسه، وله أن يحافظ عليها.

وثالثة: يحرمُ العمل بها، كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل، وإضلال الخلق، وإحياء الظلم والجور.

ومن هنا تنصاع لك شمس الحقيقة ضاحية، وتعرف أن اللوم والتعيير بالتقية - إن كانت تستحق اللوم والتعيير - ليس على الشيعة، بل على مَن سلبهم موهبة الحرية، وألجأهم إلى العمل بالتقية...

يخطر على بالي من بعض المرويّات: أنّ مسيلمة الكذّاب ظفر برجلين من المسلمين، فقال لهما: إشهدا أنّي رسول الله وأن محمّداً رسولُ الله! فقال أحدهما: أشهد أنّ محمّداً رسولُ الله وأنّك مسيلمة الكذّاب. فقتله، فشهد الآخر بما أراد منه فأطلقه.

ولما بلغ خبرُهما إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، قال: «**أمّا الأوّل فقد تعجّل الرّواحَ إلى الجنّة، وأمّا الآخر فقد أخذ بالرُّخْصَة، ولكلٍّ أجرُه**». (هذه الإجابة من كتابه أصل الشيعة وأصولها)

القرآن العزيز مَثَله الأعلى ومهمّته الأولى هي الدعوة إلى الله، وتقوية الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، ونشر الفضيلة، وقمع الرذيلة

التقية التي تقول بها الشيعة لا تختصّ بهم، ولم ينفردوا بها، بل هو أمرٌ تفرضه ضرورة العقول

خطيئة دعاة التمدُّن

تغليبُ الفضول على القِيم الأخلاقية

العلامة الشيخ محمّد تقي فلسفي رحمه الله

تقصد هذه المقالة لعالم الدين والمفكّر الإيراني الراحل الدكتور الشيخ محمّد تقي فلسفي، الإضاءة على خطورة إهمال التكامل الروحي، وحصر الاهتمام بتنمية القوى الفكرية والذهنية، وبعبارة تغليب «الذكاء» على القِيم الأخلاقية، أو تركه متفلّتاً منها، وما يترتّب على ذلك من انتكاسات اجتماعية حادّة.

يُشار إلى أن المقال مختصر من أحد فصول كتاب الشيخ فلسفي (الطفل بين الوراثة في التربية).

مثلما يسعى الإنسان إلى إحياء مواهبه الفكرية، وإدراك الحقائق العلمية ويُحرز تقدماً جديداً في كلّ يوم... عليه أن يسعى أيضاً في سبيل تزكية نفسه وتطهيرها؛ يُحيي بذلك إنسانيته، ويُرضي عواطفه النبيلة بالفضائل الأخلاقية.

إن المجتمع الذي يقوم على العلم فقط، ويكون فاقداً للفضيلة والأخلاق، لا يُطاق. لأنه لا يوجد في ذلك المجتمع اطمئنان وارتياح بال، والناس يكونون كراكبي سفينة في وسط بحر هائج يشعرون بخطر الغرق والسقوط في كلّ آن. وبغضّ النظر عن الجانب الديني، فإنّ الفضائل الخُلقية والملَكات الطاهرة من الضروريات الحيوية لمجتمع سعيد فاضل.

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لَوْ كُنّا لا نَرْجو جَنَّةً وَلا نَخْشى ناراً وَلا ثَواباً وَلا عِقاباً لَكانَ يَنْبَغي لَنا أَنْ نُطالِبَ بِمَكارِمِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّها مِمّا تَدُلُّ عَلى سَبيلِ النَّجاحِ**».

إن شطراً مهماً من سعادة المجتمع مرتبط بالفضائل الخُلقية، كما أن شطراً مهماً من شقاء المجتمع وفساده له ارتباط وثيق بالانحطاط الخُلقي والصفات البذيئة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**رُبّ عزيزٍ أذلّه خُلُقه، وذليلٍ أعزّه خُلُقه**». وعنه عليه السلام: «**في سَعَةِ الأَخْلاقِ كُنوزُ الأَرْزاقِ**»، و«**حُسْنُ الخُلُقِ خَيْرُ رَفيقٍ**». وعن الامام الصادق عليه السلام: «**حُسْنُ الخُلُقِ يَزيدُ في الرِّزْقِ**».

إن من أهم الخصائص الكبرى التي يمتاز بها الأنبياء، والتي كانت السبب المباشر في تأثيرهم في المجتمع ونفوذهم إلى عقول الأفراد وأفكارهم هي ملَكاتهم الطاهرة وسجاياهم العظيمة. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ خَصَّ الأَنْبِياءَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بِمَكارِمِ الأَخْلاقِ**». وبهذا الصدد جاء الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، ذاكراً الهدف الأسمى من بعثته وظهوره بين ظَهراني المجتمع الجاهلي آنذاك، قائلاً: «**إنّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**».

«إنه خطأٌ فظيع ارتكبه دعاةُ التمدّن والتجدّد في إهمالهم للتكامل الروحي. إنّ العمر الروحي للأغلبية العظمى من الناس لا يتجاوز الثانية عشرة أو الثالثة عشرة.... إن الخطيئة الاجتماعية الكبيرة في عصرنا الحالي هي الإعراض عن اتّباع قانون التكامل الروحي، وحصر الروح بصورة استبدادية عنيفة بالقوى العقلانية، وتربية القوى الفكرية فقط. ذلك أن الفكر يستطيع بمساعدة العلم أن يضمن السيطرة على جميع الأشياء، لكنّه تناسى النشاطات الروحية الأخرى. إن الإنسان المعاصر لم يفهم بعد خطر الخروج على قانون التكامل الروحي، ويظنّ أن التنمية الفكرية تعادل التربية الروحية، ولم يعلم بعد أن إلى جانب العقل توجد النشاطات المعنوية اللازمة للسير الصحيح في الحياة. إن السيطرة التدريجية للفساد، وقلّة الأدب، والانحراف، والإدمان على الخمر، والكسل، والحسد، والحقد، والتزوير، والكذب، والخيانة، تحصل عندما يُسحَق قانون التكامل الروحي». [هذه الفقرة نقلها المؤلف عن كتاب (راه ورسم زندكى) وهو ترجمة فارسية لأحد مؤلفات الطبيب والفيلسوف الفرنسي ألكسيس كارل]

تنمية العقل والعاطفة

يشكّل العلم والأخلاق جناحين قويّين لتحليق الإنسان إلى أوج الانسانية. إن المجتمع الذي يعمل على إحياء العقل والعاطفة معاً

هو أسعد المجتمعات. فبالعلم يتقدّم نحو الترقّي والتكامل، وبالعواطف والأخلاق توجَد البيئة الصالحة... البيئة التي يسودها جوّ من الحبّ والحنان والإخلاص حيث يعيش الجميع في غاية المودّة والأخاء.

حيث توجد الأخلاق والعواطف ولا يوجد عِلم فلا تكاملَ هناك ولا تقدّم، ينعدم حينها الإدراك لحقائق الحياة، ويكون الإنسان محروماً من الانتصارات العلمية الباهرة في تلك الحالة.

وحيث يوجد العلم ولا يوجد إيمان ولا فضائل، وحيث يوجد العلم ولا يوجد شرف ولا تقوى، وحيث يوجد العلم ولا يوجد أثر للفضائل الخُلقية والإنسانية... هناك تظهر الأنانية والاستئثار، وهناك يسيطر الجَشع والحرص على الناس، هناك يقع الأفراد في شرَك الفساد والخيانة، هناك تجد الاعتداء والتجاوز على حقوق الآخرين، ويُعكَّر جوّ الصفاء والأمن... إن المهندس الفنيّ في صنع السيارة يراعي الموازنة بين قوّة المحرك وقوة جهاز الإيقاف (المكابح). والتقدم العلمي في العالم المعاصر بمنزلة التكامل المتزايد لقوّة المحرّك الاجتماعي. أما الفضائل الخُلقية فإنها بمنزلة (المكابح) التي تحفظ الناس في ساعة الخطر من الموت والسقوط. والإنسان يكون سعيداً عندما يرفع من المستوى الإيماني والأخلاقي في الوقت الذي يلاحظ فيه الترقّيات العلمية في العالم. وذلك لكي يستخدم العلم في الطريق المفيد فقط. ومن المؤسف أن البشرية سالكة في الاتّجاه المخالف لهذا الطريق منذ مدّة ... وكأنه كلّما تتقدّم العلوم، يأخذ الإيمان والتقوى في التناقص والتقلّص.

إن العالم اليوم أصبح – بسبب ضعف الجانب الإيماني والأخلاقي فيه – أشبه بسيارة بلا مكابح تستمر في سيرها بصورة قلقة، والناس يقضون حياةً مليئةً بالاضطراب والقلق، وهم خائفون من أن تصل بهم الحياة إلى رأس منزلق يودي بهم إلى الهاوية، فيأمر الرؤساء بإشعال النار، وحينذاك يُستغلّ التقدّم العلمي للتخبّط في النار والدم والقضاء على الكرة الأرضية في بضع ساعات.

«إذا بقيَ الذكاء حرّاً غير تابعٍ للإدراك المعقول أو الإلهام بالقِيَم الأخلاقية فذلك أمرٌ خَطِرٌ جدّاً. فالذكاء ليس يجرّنا إلى الماديّات فحسب، بل يجرّنا إلى البهيمية! هذه الأسطر كُتبت قبل اطّلاع العالم على اختراع القنبلة الذرية بفترة وجيزة، وهذا الاختراع يُظهر معاني هذه الكلمات بصورة واضحة. فقد انتبه الناس فجأة إلى أنّ انتصاراً علمياً عجيباً يهدّد السلام العالمي بصورة فظيعة، وفجأة رأت الدول التي نسمّيها بالمتمدّنة أنّ اتحاداً أخلاقياً فقط هو القادر على حمايتهم تجاه هذا الخطر.... لأوّل مرة في التاريخ البشري نرى أن الصراع بين الذكاء والقِيم الأخلاقية صار موضوعاً حيوياً يتوقّف عليه الحياة أو الموت. نحن نأمل أن نستفيد من هذه العظَمة، ولكنّ المؤسّف أننا نشكّ في ذلك...». [هذه الفقرة نقلها المؤلف عن كتاب (سرنوشت بشر) وهو ترجمة فارسية لأحد مؤلفات الفيلسوف الفرنسي بيير لكونت دي نوي]

تُعدّ الفضائل الأخلاقية — بصرف النظر عن الرؤية الدينية — من الضروريات الحيوية لسعادة المجتمع ونمائه

هيمنةُ الرذيلة والظّلم والفساد، أعقبتْ تجاهل البشر لمبدأ وقانون التكامل الروحي

فضيلة إكرام الذرّيّة العلويّة
قصّة اهتداء الرجل المَجوسيّ إلى الإسلام

إعداد: «شعائر»

يُستحبّ إكرام ذريّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، و«اصطناع المعروف إلى العلويّين والسادات»، وقد عقد الحرّ العاملي فصلاً في (وسائل الشيعة) أورد فيه سبعة عشر حديثاً في هذا الباب عن النبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين؛ منها قوله صلّى الله عليه وآله: «أربعةٌ أنا لهم شفيعٌ يومَ القيامة: المُكرِمُ لذُريّتي من بَعدي، والقاضِي لَهم حوائجَهم، والسّاعي لهم في أمورِهم عندما اضطُرّوا إليه، والمُحِبُّ لهم بقلبِه ولسانه».

يتضمّن هذا النصّ حكاية رجل مجوسيّ اهتدى إلى الإسلام بسبب إكرامه لسيدة علويّة وأيتامها، أوردها الفقيه المحدّث ابن أبي جمهور الأحسائي (ت: ٨٨٠ للهجرة) في خاتمة كتابه (عوالي اللئالي) نقلاً عن كتاب (منهاج اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) للعلامة الحلّي.

ذكر العلّامة طيّب الله رَمْسَه في كتابه المذكور (أي العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف بن المطهّر المتوفّى سنة ٧٦٢ للهجرة، في كتابه منهاج اليقين) بسنده عمّن رواه، قال:

«وقعتْ في بعض السنين ملحمة بقُمّ، وكان بها جماعة من العلويّين، فتفرّق أهلها في البلاد، وكان فيها امرأة علويّة صالحة كثيرة الصلاة والصيام، وكان لها زوجٌ من أبناء عمّها أُصيب في تلك الملحمة، وكان لها أربع بنات صغار من ابن عمّها ذلك، فخرجت مع بناتها من قمّ لمّا خرج الناس منها، فلم تزل ترمي بها الغُربة من بلد إلى بلد حتى أتتْ بلخ، وكان قدومها إليها إبّان الشتاء، فقدمتْ بلخ في يومٍ شديدِ البرد ذي غَيمٍ وثلج، وكانت متحيّرةً لا تدري إلى أين تذهب، ولا تعرف موضعاً تأوي إليه لحفظها وبناتها من البرد والثلج.

فقيلَ لها إنّ بالبلد رجلاً [ملكاً] من أكابرها معروفٌ بالإيمان والصلاح يأوي إليه الغرباء وأهل المَسكنة. فقصدَتْه العلويّة، وحولها بناتها، فلقيتَه جالساً على باب داره وحوله جلساؤه وغِلمانه، فسلّمت عليه وقالت: أيّها الملك، إنّي امرأةٌ علويّة ومعي بنات علويّات ونحن غرباء، وقدِمنا إلى هذا البلد في هذا الوقت وليس لنا من نأوي إليه ولا بها مَن يعرفُنا فننحاز إليه، والثلج والبرد قد أضرّنا، وقد دُللنا إليك، فقصدناك لتأوينا.

فقال: ومَن يعرف أنّك علويّة، ائتني على ذلك بشهود!

فلمّا سمعت كلامه خرجت من عنده حزينةً باكية، وبقيت واقفة في الطريق متحيّرة لا تدري إلى أين تذهب، فمرّ بها سوقيّ، فقال: ما لكِ أيّتها المرأة واقفة والثلج ينهمر عليك وعلى هؤلاء الأطفال معك؟ فقالت: إنّي امرأة غريبة لا أعرف موضعاً آوي إليه.

فقال لها: امضي خلفي حتى أدلّك على الخان الذي يأوي إليه الغرباء، فمضتْ خلفه.

قال الراوي: وكان بمجلس ذلك الملك رجلٌ مجوسيٌّ، فلمّا رأى العلويّة وقد ردّها الملك وتعلّل عليها بطلب الشهود، وقعتْ لها الرحمة في قلبه، فقام في طلبها مُسرعاً فلحقها عن قريب. فقال: إلى أين تذهبين أيّتها العلويّة؟

قالت: خلف رجلٍ يدلّني إلى الخان لآوي إليه.

فقال لها المجوسيّ: لا، بل ارجعي معي إلى منزلي فأوي إليه، فإنّه خيرٌ لك.

قالت: نعم، فرجعتْ معه إلى منزله، فأدخلها منزله، وأفرد لها بيتاً

من خيار بيوته، وفَرشه لها بأحسن الفرش، وأسكنها فيه، وجاء لها بالنار والحطب، وأشعل لها التنّور، وأعدّ لها جميع ما تحتاج إليه من المأكل والمشرب.

وحدّث امرأته وبناته بقصّتها مع الملك، ففرح أهله بها وجاءت إليها مع بناتها وجواريها، ولم تزل تخدمها وبناتها وتؤنسها حتّى ذهب عنهنّ البرد والتعب والجوع.

فلمّا دخل وقت الصلاة قالت العلويّة للمرأة: ألا تقومين إلى أداء الفرض؟

قالت لها امرأة المجوسي: وما الفرض؟ إنّا أناسٌ لسنا على مذهبكم، إنّا على دين المجوس، ولكنّ زوجي لمّا سمع خطابك مع الملك وقولك أنّكِ امرأة علويّة، وقعت محبّتك في قلبه لأجل اسم جدّك، وردّ الملك لك، مع أنّه على دين جدّك.

فقالت العلويّة: اللّهمّ بحقّ جدّي وحُرمته عند الله أسأله أن يوفّق زوجك لدين جدّي.

ثمّ قامت العلويّة إلى الصلاة والدعاء طول ليلها بأن يهدي الله ذلك المجوسيّ لدين الإسلام.

قال الراوي: فلمّا أخذ المجوسيّ مضجعه... رأى في منامه أنّ القيامة قد قامت، والناسُ في المحشر وقد كظّهم العطشُ وأجهدَهم الحرّ، والمجوسيّ في أعظم ما يكون من ذلك، فطلب الماء، فقال له قائل: لا يُوجَد الماء إلّا عند النبيّ محمّد وأهل بيته، فهم يسقون أولياءهم من (**حوض الكوثر**).

فقال المجوسيّ: لَأَقْصِدَنّهم فلعلّهم يسقوني جزاءً لما فعلتُ مع ابنتهم وإيوائي إيّاها. فقصدَهم، فلمّا وصلَهم وجدَهم يَسقون مَن يرِدُ إليهم من أوليائهم، ويردّون من ليس من أوليائهم، وعليٌّ عليه السلام واقفٌ على شفير الحوض وبيده الكأس، والنبيّ صلّى الله عليه وآله جالسٌ وحوله الحسن والحسين عليهما السلام...

فجاء المجوسيّ حتّى وقف عليهم وطلب الماء، وهو بما به من العطش، فقال له عليٌّ عليه السلام: **إِنَّكَ لَسْتَ عَلى دِينِنا فَنَسْقِيكَ**.

فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: **يا عَلِيُّ اسْقِهِ... (إنّه) قَدْ آوَى ابْنَتَكَ (فُلانَة) وَبناتِها، فَكَنَّهُنَّ مِنَ البَرْدِ وَأَطْعَمَهُنَّ مِنَ الجوعِ، وَها هِيَ الآنَ في مَنْزِلِهِ مُكَرَّمَةً**.

فقال عليٌّ عليه السلام: **أُدْنُ مِنّي، أُدْنُ منّي**.

قال: فدنوتُ منه، فناولني الكأسَ بيده، فشربتُ منه شربةً وجدتُ بردَها على قلبي، ولم أرَ شيئاً ألذّ ولا أطيبَ منها.

قال الراوي: وانتبه المجوسيّ من نومته وهو يجد بردَها على قلبه ورطوبتها على شفتَيه ولحيته، فانتبه مرتاعاً وجلس فزِعاً، فقالت زوجته: ما شأنك؟

فحدّثها بما رآه من أوّله إلى آخره، وأراها رطوبةَ الماء على شفتَيه ولحيته، فقالت له: يا هذا، إنّ الله قد ساقَ إليك خيراً بما فعلْتَ مع هذه المرأة العلويّة والأطفال العلويّين.

فقال: نعم، والله لا أطلبُ أثراً بعد عين.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أربعةٌ أنا لهم شفيعٌ يومَ القيامة: المُكرِمُ لذُريّتي من بَعدي، والقاضِي لَهم حوائجَهم، والسّاعي لهم في أمورِهم عندما اضطُرّوا إليه، والمُحِبُّ لهم بقلبِه ولسانِه»

قال الراوي: وقام الرجل من ساعته، وأسرج الشمع وخرج هو وزوجته حتّى دخل إلى البيت الذي تسكنه العلويّة، وحدّثها بما رآه، فقامت وسجدت لله شكراً، وقالت: والله إنّي لم أزلْ طولَ ليلتي أطلب إلى الله هدايتك للإسلام، والحمد لله على استجابة دعائي فيك.

فقال لها: اعرضي عليّ الإسلام، فعرضته عليه، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامه، وأسلمتْ زوجته وجميع بناته...

قال الراوي: وأمّا ما كان من الملك، فإنّه في تلك الليلة لمّا آوى إلى فراشه رأى في منامه مثل ما رأى المجوسيّ، وإنّه قد أقبل إلى (**الكوثر**)، فقال: يا أمير المؤمنين اسقني، فإنّي وليٌّ من أوليائك.

فقال له عليٌّ عليه السلام: **اطْلُبْ مِنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّم، فَإنّي لا أَسْقِي أَحَدَاً إلّا بِأَمْرِهِ.**

فأقبلَ على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: يا رسولَ الله، مُرْ لي بشُربةٍ من الماء، فإنّي وليٌّ من أوليائكم.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **اِئْتِني عَلى ذَلِكَ بِشُهودٍ.**

فقال: يا رسول الله، وكيف تطلب منّي الشهودَ دون غيري من أوليائكم؟

فقال صلّى الله عليه وآله: **وَكَيْفَ طَلَبْتَ الشُّهودَ مِن ابْنَتِنا العلويّة عندما أَتَتْكَ هي وَبَناتُها تَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَأْوِيَها في مَنْزِلِكَ؟**

قال: ثمّ انتبه وهو حرّان القلب، شديدُ الظّمأ، فوقعَ في الحسرة والندامة على ما بدر منه في حقّ العلويّة وتأسّف على ردّها، فبقيَ ساهراً بقيّة ليلته حتّى أصبح، وركب، وقتَ الصبح، يطلب العلويّة ويسأل عنها، فلم يزل يسأل ولم يجد مَن يُخبره عنها، حتّى وقع على السوقيّ الذي أراد أن يدلّها على الخان، فأعلمه أنّ الرجل المجوسيّ الذي كان معه في مجلسه أخذها إلى منزله، فَعَجِبَ من ذلك.

ثمّ إنّه قصد منزل المجوسيّ وطرق الباب، فقيل (للمجوسيّ): الملك واقفٌ ببابك يطلبُك، فعَجِبَ الرجلُ من مجيء الملك إلى منزله، إذ لم يكن من عادته، فخرج إليه مسرعاً، فلمّا رآه الملك وجد عليه هيئةَ الإسلام ونوره، فقال الرجل للملك: ما سبب مجيئك إلى منزلي ولم يمكن ذلك لك عادة؟ فقال: من أجل هذه المرأة العلويّة، وقد قيلَ لي إنّها في منزلك، وقد جئتُ في طلبها، ولكن أخبرني عن هذه الحلية عليك، فإنّي قد أراك صرت مسلماً؟

فقال: نعم، والحمد لله، وقد مَنّ عَلَيّ، ببركة هذه العلويّة ودخولها منزلي، بالإسلام، فصرتُ أنا وأهلي وبناتي وجميع أهل بيتي مسلمين على دين محمّد وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين.

فقال له: وما السبب في إسلامك؟

فحدّثه بحديثه ودعاء العلويّة ورؤياه وقصّ القصّة بتمامها. ثمّ قال: وأنت أيّها الملك، ما سببُ حرصك على التفتيش عنها بعد إعراضك أوّلاً عنها وطردك إيّاها؟

فحدّثه الملك بما رآه وما وقع له من النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله. فحمد اللهَ تعالى ذلك الرجلُ على توفيق الله تعالى إيّاه لذلك الأمر الذي نال به الشرف والإسلام، وزادت بصيرتُه.

ثم دخل الرجل على العلويّة فأخبرها بحال الملك، فبكتْ وخرّتْ ساجدةً لله شكراً على ما عرّفَه من حقّها، فاستأذنها في إدخاله عليها، فأذنتْ له، فدخل عليها واعتذر إليها، وحدّثها بما جرى له مع جدّها صلوات الله عليه وآله، وسألها الانتقالَ إلى منزله، فأبتْ، وقالت: هيهات! لا واللهِ ولو أنّ الذي أنا في منزله كَرِهَ مقامي فيه، لما انتقلتُ إليك.

وعلم صاحبُ المنزل بذلك، فقال: لا واللهِ، لا تَبرحي من منزلي، وإنّي قد وهبتُك هذا المنزل... وأنا وأهلي وبناتي وخُدّامي كلّنا في خدمتك، ونرى ذلك قليلاً في جَنب ما أنعم اللهُ تعالى به علينا بقدومك.

قال الراوي: وخرج الملك وأتى منزله وأرسل إليها ثياباً وهدايا كثيرة، وكيساً فيه جملة من المال، فردّتْ ذلك، ولم تقبل منه شيئاً».

(بتصرّف يسير)

.. الذي لم يَشُكّ ولم يدخله شيء

الصحابيّ الجليل المقداد بن عَمرو الكِنديّ

إعداد: سليمان بيضون

*** من شُجعان الصحابة وأبطالهم ونُجَبائهم، شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهاجر الهجرتَين.**

*** عظيم القدر، شريف المنزلة، تجمّعت فيه أنواع الفضائل، وأخذ بمجامع المناقب من السبق، والهجرة، والعلم، والنجدة، والثبات، والاستقامة، والشرف، والنجابة.**

*** أعلن مخالفته الذين بدّلوا، بعد رحيل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعُدَّ أطوعَ أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الصفوة الذين صلّوا على الجثمان الطاهر لسيّدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.**

*** ألقى في مسجد المدينة خطبة قال فيها: «إنّي لأَعجبُ من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل».**

*** أُعدّت هذه الترجمة استناداً إلى مصادر عدّة، أبرزها (موسوعة طبقات الفقهاء)، و(الأعلام من الصحابة والتابعين) .**

اسمه الحقيقي المقداد بن عمرو البَهرائي، وبهُراء قبيلة من قُضاعة، وله اسم آخر اشتُهر به، وهو: «المقداد بن الأسود الكنديّ»، وسبب ذلك، أنّ أباه عمرو بن ثعلبة قَتل أحد أبناء قومه، فاضطرّ إلى الجلاء عنهم، فلحق بحضرموت وحالف قبيلة «كِندة» التي كانت تتمتّع بهيبة مميّزة من بين القبائل، وهناك تزوّج امرأة منهم، فولدت له المقداد.

وُلد سنة ٣٧ قبل الهجرة النبويّة، ونشأ في ظلّ أبيه ورعايته، وحنان أُمّه وعطفها ضِمن مجتمعٍ أَلِفَ مقارعة السيف، ومطاعنة الرمح، فكانت الشجاعة إحدى سجاياه التي اتّصف بها فيما بعد، حتّى إذا بلغ سنّ الشباب أخذت نوازع الشجاعة والجرأة تدبّ في نفسه، لكنّه لم يكن أسعد حظّاً من أبيه، حيث اضطرّ إلى الجلاء عن مُضيفيه – وهم أخواله – عقب خلافٍ وقع بينه وبين أحد زعماء كندة، وهو أبو شمر بن حجر الكنديّ، فخرج إلى مكّة.

وحين وصل المقداد رضوان الله عليه إلى مكّة كان عليه أن يحالف بعض ساداتها كي يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم، فحالف

وادي حضرموت في اليمن

«الأسْود بن عبد يغوث الزهريّ»، فتبنّاه، فعُرف منذ ذلك اليوم باسم «المقداد بن الأسود»، نسبةً إلى حليفه، و«الكنديّ»، نسبة إلى حلفاء أبيه.

كُنيته: أبو الأسود، وقيل: أبو عمرو، وأبو سعيد، وأبو معبد. وزوجته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطّلب، بنت عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

كان المقداد رضوان الله عليه من الفضلاء النجباء الكبار؛ روى الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . وروى عنه جمعٌ غفير، فيهم عبد الله بن عبّاس.

أوصافه

وُصف المقداد بأنّه كان فارعَ الطول، أسمرَ اللون، صبيحَ الوجه، كثير شعر الرأس، أبطن، ضخم الجثّة، واسع العينين، مقرون الحاجبين، أقنى الأنف، جميل الهيئة. وكان يُصفّر لحيته.

وكان فارساً شجاعاً، وهو أوّل فارس في الإسلام، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، سريعَ الإجابة إذا دُعِيَ إلى الجهاد حتّى حينما تقدّمت به سنّه، وكان يقول في ذلك: «أبتْ علينا سورة البحوث [التوبة] ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾». وكان إلى جانب ذلك رفيعَ الخُلق، عاليَ الهمّة، طويلَ الأناة، طيّبَ القلب صبوراً على الشدائد، يُحسن إلى

موقع التقاء المسلمين وقريش في معركة بدر

ألدّ أعدائه طمعاً في استخلاصه نحو الخير، صلبَ الإرادة، ثابت اليقين، لا يزعزعه شيء.

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال: «**إنّ اللهَ عزّ وجلّ أمرَني بحُبّ أربعة**».

فقيل له: يا رسول الله! مَن هم، سمّهم لنا؟

فقال صلّى الله عليه وآله: «**عليٌّ منهم، وسلمانُ، وأبو ذر، والمقداد**».

وعنه صلّى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عليّ! الجنةُ تشتاقُ إليك وإلى عمّار وسلمان وأبي ذرّ والمقداد**».

ويُعد المقداد من المقرّبين من أمير المؤمنين عليه السّلام، ومن الأصفياء من أصحابه، وهو أحد الذين ثبتوا معه عليه السّلام، ولم يشهدوا السقيفة إيماناً بحقّه عليه السّلام في الخلافة. وهو – أيضاً – أحدُ رواة حديث الغدير من الصحابة، ومن الذين مضَوا على منهاج نبيّهم ولم يُغيّروا ولم يبدّلوا.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَا بَقِيَ أحدٌ بعد ما قُبِضَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا وقد جالَ جولةً، إلا المقداد، فإنّ قلبَه كان مثلَ زُبُر الحَديد**».

وعن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «**إذا كانَ يومُ القيامةِ نادَى مُنادٍ: أينَ حواريّو مُحَمّد بنِ عبدِ اللهِ، رسولِ اللهِ، الذينَ لم يَنقُضوا العهدَ وَمَضَوا عَلَيه، فيقومُ سلمانُ والمقدادُ وأبو ذرّ...**».

إسلامه

يظهر من مجمل النصوص أنّ المقداد كان من المبادرين الأوائل لاعتناق الإسلام، فقد ورد فيه: «أنّه أسلم قديماً»، وذكر ابن مسعود أنّ أول من أظهر إسلامه سبعة، وعدّ المقداد واحداً منهم. إلّا أنّه كان يكتم إسلامه عن سيّده الأسود بن عبد يغوث خوفاً منه على دمه، شأنه في ذلك شأن بقية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا تحت قبضة قريش عامّة، وحلفائهم وساداتهم خاصّة، أمثال عمّار وأبيه، وبلال، وغيرهم ممّن كانوا يتجرّعون غُصص المحنة، لا سيما وأنّ الأسود هذا كان أحد طواغيت قريش وجبّاريهم، وأحد المعاندين للنبيّ صلّى الله عليه وآله والمستهزئين بما جاء به، لأجل هذا كان المقداد يتحيّن الفرَص لانفلاته من ربقة «الحلف» الذي أصبح فيما بعد ضرباً من العبودية المقيتة.

التحاقه بالمسلمين في يثرب

هاجر المقداد رضوان الله عليه بدايةً إلى أرض الحبشة، ثمّ رجع إلى مكّة، وخلال السنة الأولى للهجرة النبوية إلى يثرب كان المقداد لا يزال مع بعض المستضعفين من المسلمين في مكّة، حتّى كانت سريّة حمزة بن عبد المطلب – وفي رواية – سريّة عبيد الله بن الحارث بن عبد المطلب التي أرسلها النبيّ صلّى الله عليه وآله لمناوشة المشركين، فكان معها نجاته وخلاصه، فقد خرج المقداد هو وعمرو بن غزوان مع مشركي مكّة ليُوهماهم بأنّهما يريدان القتال معهم، ثمّ انحازا إلى المسلمين ودخلوا معهم إلى المدينة.

وكان نزوله وصاحبه في المدينة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي ضيافته. والذي يظهر أنّ المقداد كان من جملة أولئك الوافدين المهاجرين الجدد، وكان عددهم لا يستهان به. فقد ذكر أحمد بن حنبل بسنده عن المقداد، قال: «لمّا نزلنا المدينة، عشَّرَنا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عشرةً عشرةً في كلّ بيت، فكنتُ في العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله».

موقف المقداد في بدر

في السنة الثانية للهجرة كانت وقعة بدر الكبرى بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين بقيادة النبيّ صلّى الله عليه وآله من جهة، وقريش بقيادة أبي جهل من جهة أخرى، فكان المسلمون قلّة ضئيلة في قبال خصمهم، وكان عدد مقاتليهم يزيد على الثلاثمئة مقاتل قليلاً، بينما عدد المشركين يتراوح بين تسعمائة وألف رجل.

وقاد المشركون معهم مائة فرس وسبعمائة رأس من الإبل، بينما قاد المسلمون معهم فرساً واحداً للمقداد بن عمرو، وسبعين رأساً من الإبل يتعاقبون على كلّ واحد منها: الاثنان، والثلاثة، والأربعة.

ولمّا وصل النبيّ صلّى الله عليه وآله قريباً من موضعٍ يُقال له «بدر» أُخبر بمسير قريش لقتال المسلمين، فأخبر أصحابه بذلك واستشارهم ليكونوا على بصيرة من أمرهم، واستعلم صلّى الله عليه وآله من الأنصار رغبتهم في القتال، لأنّهم كانوا عاهدوه على أن يدافعوا عنه في بلدهم فيمنعونه ممّا يمنعون منه أنفسهم، ولم يعاهدوه على القتال خارج المدينة.

كان الموقف في غاية الدقة والحرَج، فمن المسلمين من يثبّط، ومنهم من يشّجع ويعزم. ووقف أحد المهاجرين وقال: «يا رسول الله! إنّها قريش وخيلاؤها وجبروتها، والله ما ذلّتْ منذ أن عزّتْ، ولا آمنتْ منذ أن كفرتْ..»، ثم تكلّم مهاجريّ آخر بمثل ما تكلّم صاحبه، فقال لهما النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**اجلسا**»!

ثمّ قام المقداد بن عمرو، وقال بكلّ عزم: «يا رسول الله! امضِ لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿..فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة:٢٤، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحقّ، لو سرتَ بنا إلى بُرَك الغِماد – وهو موضع بعيد عن مكّة؛ قيل في اليمن أو في هجَر – لَسِرنا معك».

يروي عبد الله ابن مسعود يقول: «لقد شهدتُ مع المقداد مشهداً لئن أكون صاحبه أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس – وذكر موقف المقداد وكلامه المتقدّم – ثمّ قال: فرأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يُشرق وجهُه بذلك، وسرّه، وأعجبَه».

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**أشيروا عليّ أيّها النّاس**». فقام سعد بن معاذ سيّد الأوس وزعيمها والناطق عن الأنصار وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟

فقال صلّى الله عليه وآله: **نعم**.

قال سعد: قد آمنّا بك – يا رسولَ الله – وصدّقناك، وأعطيناك عهودنا، فامضِ – يا رسول الله – لما أُمرت، فوالذي بعثك بالحق إنّ استعرضتَ بنا هذا البحر [أي البحر الأحمر] فخضتَه لنَخوضنّه

آبار بدر

معك، وما نكره أن تلقى العدوّ بنا غداً، وإنّا لَصُبَّرٌ عند الحرب، صُدَّقٌ عند اللقاء، لعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عينُك، فسِر بنا على بركة الله.

وهكذا أجّجت كلماتُ المقداد الروحَ المعنوية العالية التي أفضت إلى دخول المسلمين طوعاً في معركة بدر المفصليّة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

موقفه من السقيفة

كان الانقلاب على الأعقاب عقيب وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم محنة كبيرة للمسلمين وفتنة لم ينجُ منها إلّا ذوو البصائر – وقليلٌ ما هم – ومن هؤلاء الأفذاذ المقداد بن عمرو، فقد رُوي

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «**ارْتَدَّ النّاسُ** [بعد السقيفة وما تبعها من بيعة] **إلّا ثَلاثَةُ نَفَرٍ: سَلْمانُ، وَأَبو ذَرٍّ، وَالمِقْدادُ.**

قال الراوي: فقلت: فَعَمّارٌ؟ فَقالَ: **قَدْ كانَ جاصَ جَيْصَةً** [جاصَ بمعنى حادَ وعدل، وفي بعض المصادر: حاصَ حَيْصَةً] **ثُمَّ رَجَعَ.** ثُمَّ قالَ: **إنْ أَرَدْتَ الّذي لَمْ يَشُكَّ وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ فَالمِقْدادُ**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لَمّا بايَعَ النّاسُ أَبا بَكْرٍ، أُتِيَ بِأَميرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ مُلَبّباً لِيُبايِعَ، قالَ سَلْمانُ: أَيُصْنَعُ ذا بِهَذا؟ وَاللهِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لانْطَبَقَتْ ذِهِ عَلى ذِهِ.** [أي السماء على الأرض] **وَقالَ أَبو ذَرٍّ، وَقالَ المِقْدادُ: وَاللهِ هَكَذا أَرادَ اللهُ أَنْ يَكونَ**».

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «**كانَ المِقْدادُ أَعْظَمَ النّاسِ إيماناً تِلْكَ السّاعَة**».

موقف المقداد من الشورى

روى المؤرّخون أنّه اجتمع الرهط الذين سمّاهم عمر بن الخطاب للشورى وانتخاب الخليفة من بعده - وكانوا ستّة فيهم أمير المؤمنين عليه السلام - في المسجد ومعهم حشدٌ من المهاجرين والأنصار، فقال عمّار بن ياسر لعبد الرحمن بن عوف، وهو أحد الستّة: «إن أردتَ أن لا يختلف المسلمون فبايعْ عليّاً».

وقال المقداد: «صدق عمّار، إنْ بايعتَ عليّا قلنا: سَمِعنا وأطعنا».

ولمّا أرسل عبد الرحمن بن عوف يدَ الامام عليه السّلام وصفق على يد عثمان، قال المقداد: «يا عبد الرحمن! أما والله لقد تركتَه [أي تركت بيعة عليّ عليه السلام]، وإنّه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون».

وفي رواية الطبري: أنّ علياً عليه السلام قال حين بُويع عثمان: «**ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، ﴿.. فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾** يوسف:١٨».

وقال لعبد الرحمن: «**والله ما ولّيتَه الأمر إلّا ليردّه إليك، كما فعلها صاحبُك من قبل، واللهُ كلّ يومٍ في شأن**».

وقال المقداد: «تالله ما رأيتُ مثل ما أُوتيَ إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم، واعجباً لقريش! لقد تركتْ رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ أحداً أقضى بالعدل، ولا أعلم، ولا أتقى منه، أما والله لو أجدُ أعواناً «..» فقال عبد الرحمن: اتّقِ الله يا مقداد، فإني خائفٌ عليك الفتنة».

وفي كتاب (السقيفة وفدك) لأبي بكر الجوهري (ت: ٣٢٣ هـ)، عن محمّد بن قيس الأسدي، عن المعروف بن سويد، قال: «كنتُ بالمدينة أيامَ بُويعَ عثمان، فرأيتُ رجلاً في المسجد جالساً وهو يصْفق بإحدى يديه على الأخرى، والناس حوله، ويقول: (واعجباً من قريش واستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت، معدنِ الفضل، ونجومِ الأرض، ونورِ البلاد، والله إنّ فيهم لَرَجُلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله أولى منه بالحقّ، ولا أقضى بالعدل، ولا آمرَ بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر).

البقيع حيث دفن المقداد

فسألتُ عنه فقيل: هذا المقداد، فتقدّمتُ إليه وقلت: أصلحَك الله، مَن الرجلُ الذي تذكره؟ فقال: ابنُ عمّ نبيّك رسول الله صلّى الله عليه وآله، عليّ بن أبي طالب».

وفاته

كانت وفاة الصحابيّ الجليل المقداد بن عمرو الكنديّ في سنة ٣٣ للهجرة، بعد أن شهدَ فتح مصر، وقد بلغ من العمر سبعين عاماً. فقد كانت له أرض بالجُرف بالقرب من المدينة المنوّرة، وكان يتعاهدها زراعةً وسقياً ويقضي فيها أوقات فراغه، وذات يوم تناول جرعة من زيت يتداوى بها فأضرّت به، فمات منها، فنُقل على أعناق الرجال حيث دُفن بالبقيع، وكان قد أوصى إلى عمّار بن ياسر، فصلّى عليه ولم يؤذِن [يُعلم] عثمانَ به، فلمّا بلغ عثمان موتُه، جاء حتّى أتى قبره، فقال: رحمَك الله، إنْ كنتَ وإنْ كنتَ، يُثني عليه خيراً! فقال الزبير بن العوّام:

لأَلفينّكَ بعدَ الموتِ تَندبُني ... وفي حياتي ما زوّدتَني زادي

فقال عثمان: يا زبير، تقول هذا؟! أتراني أحبّ أن يموت مثل هذا من أصحاب محمّدٍ [صلّى الله عليه وآله] وهو عليَّ ساخط؟!

أمين معلوف نموذجاً
المثقّف العربي الإنتهازي يتملّق الأنظمة التابعة

إيمان شمس الدين

يتناول هذا المقال للباحثة والكاتبة اللبنانية إيمان شمس الدين دلالات اللقاء التلفزيوني الذي أجراه الروائي اللبناني أمين معلوف مع إحدى القنوات الصهيونية، وما انطوى عليه من انتهازية تتناقض مع أفكاره التي ساقها في مؤلَّفه (الهويات القاتلة — قراءات في الانتماء والعولمة)، في مسعًى منه — على خُطى سلفه الروائي المصري نجيب محفوظ - للفوز بـ«جائزة نوبل» للآداب التي رُشّح لها.

يشار إلى أن المقال نُشر منتصف حزيران الفائت في جريدة البناء اللبنانية، ننقله مختصراً بعد استبدال العنوان.

كان لكتاب (الهويّات القاتلة) لأمين معلوف صدى كبيرٌ في المجال الثقافي، رغم وجود قراءة نقديّة لبعض أفكاره الملتبسة، إلّا أنّ محور فكرة معلوف في (الهويّات القاتلة) كان يدور حول العنصريّة ودوغمائيّة فكرة الهويّة. ورغم أنّه رفض ثبات الهويّة وانغلاقها ورفض كلّ أنواع الهويّات العنصريّة، والعنصريّات المغلقة هويّانيّاً، إلّا أنّه خالف تلك الأفكار عملانيّاً من خلال قبوله اللقاء على (تلفزيون i24) الصهيوني في «حديث ثقافي» كخطوة تطبيعيّة لا تبرير لها سوى التطبيع المغلّف بحجّة الثقافة.

فعنصريّة الصهاينة هي من أشدّ أنواع العنصريّات الهويانيّة على الإطلاق في عصرنا الحالي، وموقف أي مثقّف، وخاصّة عربي، ينتمي إلى بلد عانى احتلالاً صهيونيّاً وقدّم شهداء في سبيل التحرير، بالتالي يكون مجبراً على رفض التطبيع، بل مجبراً على ترويج ثقافة الرفض ومقاومة التطبيع.

إنّ الرفض ثقافة مقاومة يُفترَض تبنّيها من قِبل شخصيّات رمزيّة متقدّمة ثقافيّاً وأدبيّاً كشخصيّة أمين معلوف، رغم أنني لست من المنبهرين بكلمة «مثقّف» و«مُفكّر» التي سقطت كلّ معالمها عند أعتاب الربيع العربي، وما زالت تسقط عند كلّ موقف مبدئي نتوقّعه من شخصيّات كهذه، وإذا بها غالباً ترجّح وجودها وكينونتها الذاتيّة على الوجود الإنساني الاجتماعي وقضايا الأُمّة العادلة، وخاصّة قضيّة فلسطين التي باتت انتهاكات الصهاينة بحقّها وحقّ أهلها في طَيّ نسيان أغلب المثقّفين، كونها قضيّة لا تحقّق لهم مكاسب ولا شعبيّة، خاصّة بعد انغماس المجتمعات العربيّة في قضاياها وحروبها الداخليّة.

لقد كشف الربيع العربي الستار عن أزمة المثقّفين في العالم العربي، وأماط اللثام عن أزمة القِيم التي يعاني منها أغلب المثقّفين، وعن علاقاتهم المُبطّنة مع السلطة، بل عن سَعيهم الحثيث لجعل الثقافة جسراً لعبورهم نحو مصالحهم على حساب آلام الناس وهمومها .

وأمين معلوف اليوم يلتحق بركب هذه الطبقة المأزومة قيميّاً، والتائهة مبدئيّاً، والملتبسة ثقافيّاً، حيث رَفْض التطبيع لم يعد بديهيّاً، بل التطبيع له مبرّراته عند هؤلاء دون أدنى خجل من دماء الشهداء، وعذابات الأسرى الذين تمارس الصهيونيّة في حقّهم أبشع أنواع الانتهاكات يوميّاً، فأيّ تثاقف لمعلوف مع الصهاينة الذين لا يُدركون سوى لغة الدم والاحتلال؟

قد نُدرك التباسات السياسة والسياسيّين في الأنظمة العميلة التابعة كقطيع لرعاتها حينما تعترف بوجود هذا الكيان الغاصب، وهذا إدراك واقعي وليس إمضائيّاً، لكن ما لا يُمكن إمضاؤه هو مساوقة حركة مفكّر كأمين معلوف لتلك الأنظمة في عمليّة التطبيع. فالمثقّف كلّما أبحر في الفكرة كلّما اتّضحت معالمها كمشروع متكامل في ذهنه وانكشفت له الوقائع والحقائق بعيداً عن ملابسات السياسة.

لقد التبست هويّات معلوف عليه لتقتله هو عند قبوله اللقاء مع الصهاينة كخطوة تطبيعيّة، يمكنها أن تُمهّد لمعلوف فوزه بـ«جائزة نوبل» حيث تمّ ترشيحه لها، لكنّه بهذه الخطوة التطبيعيّة طبع على ذاكرة الشعوب وصمة عار أبديّة على اسمه ستلاحقه عربيّاً وإسلاميّاً.

وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكَم

التواضعُ آلةُ العقل

إعداد: «شعائر»

من غُرر كلمات الإمام الكاظم عليه السلام، وصيّته لهشام بن الحكم، وفيها صِفتُه للعقل، وهي وصية طويلة تشتمل على مواعظ بليغة، وحِكَم رائعة، وأقوال جامعة.

ما يلي، فقرات من هذه الوصية التي أوردها الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني في (تُحَف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله).

* **يا هشام**: الصبرُ على الوحدةِ علامةُ قوّةِ العقل، فَمَنْ عَقَلَ عن اللهِ، تباركَ وتعالى، اعتزلَ أهلَ الدُّنيا والرّاغبين فيها، ورغِبَ فيما عند ربّه، وكانَ اللهُ أُنْسَهُ (آنِسَهُ) في الوَحْشَة، وصاحِبَهُ في الوحدَة، وغناهُ في العَيْلَةِ [أي الفاقة]، ومُعِزَّهُ في غيرِ عشيرَةٍ.

***

* يا هشام: **مَن صدقَ لسانُه زَكى عملُهُ. ومَن حَسُنَتْ نيّتُهُ زِيدَ** في رزقِه. ومن حَسُنَ بِرُّهُ بإخوانِهِ وأهلِهِ مُدَّ في عُمرِه.
* **يا هشام**: لا تَمنحوا الجُهّالَ الحِكمةَ فتظْلِموها، ولا تَمْنعوها أهْلَها فتظْلِموهُم .
* **يا هشام**: كما تركوا لكم الحكمةَ فاتركوا لهم الدُّنيا.
* **يا هشام**: لا دينَ لِمَن لا مروءةَ له، ولا مروءةَ لِمَن لا عقلَ له، وإنَّ أعظمَ النّاسِ قَدْراً الذي لا يَرى الدُّنيا لنفسِه خَطَراً؛ أما إنّ أبدانَكم ليس لها ثمنٌ إلّا الجنّة، فلا تَبيعوها بغيرِها.

***

* **يا هشام**: إنَّ أميرَ المؤمنين عليه السّلام، كانَ يقولُ: «لا يجلسُ في صدرِ المجلسِ إلّا رجلٌ فيه ثلاثُ خصالٍ: يُجيبُ إذا سُئِل، وينطقُ إذا عجزَ القومُ عنِ الكلام، ويشيرُ بالرّأيِ الذي فيه صلاحُ أهلِه، فمَنْ لم يكنْ فيه شيءٌ منهنّ فجلسَ فهو أَحمقُ»....

وقالَ عليُّ بنُ الحسينِ عليهما السلام: «مُجالسةُ الصّالحينَ داعيةٌ إلى الصَّلاحِ، وأدبُ العلماءِ زيادةٌ في العقلِ، وطاعةُ ولاةِ العدلِ تمامُ العزِّ، واستثمارُ المالِ تمامُ المُروءَةِ [أي بالكسب والتجارة]، وإرشادُ المستشيرِ قضاءٌ لِحقِّ النّعمة، وكَفُّ الأذى مِن كمالِ العقلِ وفيه راحةُ البدنِ عاجلاً وآجلاً».

* **يا هشام**: إنَّ العاقلَ لا يُحدِّثُ مَن يخافُ تَكذيبَه، ولا يسألُ مَن يخافُ مَنْعَه، ولا يَعِدُ ما لا يقدرُ عليه. ولا يرجو ما يُعَنِّفُ برجائِه [أي لا يرجو فوق ما يستحقّه فيُوبَّخ]، ولا يتقدّمُ على ما يخافُ العجزَ عنه.

وكان أميرُ المؤمنين عليه السلام يُوصي أصحابَه يقولُ: «أوصيكمْ بالخَشيةِ مِن اللهِ في السّرِّ والعَلانية، والعدلِ في الرِّضا والغَضب، والاكتسابِ في الفقرِ والغِنى، وأن تَصِلوا مَنْ قَطعَكُم، وتَعْفُوا عَمّن ظلمَكُم، وتَعْطِفوا على مَنْ حَرَمَكُم، وَليكُن نظرُكم عِبَراً، وصَمْتُكم فِكراً، وقوْلُكُمْ ذِكْراً، وطبيعتُكم السَّخاء، فإنّه لا يدخلُ الجنّةَ بخيلٌ، ولا يدخلُ النّارَ سخِيٌّ».

***

* **يا هشام**: رَحِمَ اللهُ مَنِ استحيا مِنَ اللهِ حقَّ الحَياء، فحَفِظَ الرّأسَ وما حَوى، والبطْنَ وما وَعى، وذَكَرَ الموتَ والبِلى، وعَلِمَ أنَّ الجنّةَ محفوفةٌ بالمكارِه، والنّارَ محفوفةٌ بالشَّهوات .
* **يا هشام**: مَن كَفَّ نَفسَهُ عن أعراضِ النّاسِ أقالَهُ اللهُ عثرتَهُ يوْمَ القيامَة. ومن كفَّ غضبَهُ عنِ النّاسِ كفَّ اللهُ عنه غضبَهُ يومَ القيامَةِ .
* **يا هشام**: إنَّ العاقلَ لا يكْذِبُ وإنْ كانَ فيه هواه .
* **يا هشام**: وُجِدَ في ذُؤابةِ سيفِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنَّ أَعْتى النّاسِ على اللهِ مَنْ ضربَ غيرَ ضاربِه وقتلَ غيرَ قاتلِه. ومَنْ تولّى غيرَ مَواليه فهو كافرٌ بما أنزلَ اللهُ على نبيِّهِ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم. ومَنْ أحدثَ حَدَثاً [الحدَث: هنا

بمعنى البِدعة في الدّين]، أو آوى مُحْدِثاً، لم يقْبلِ اللهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفاً ولا عَدْلاً» .[الصَّرف والعَدل: التوبة والفِدية]

***

* يا هشام: أفضلُ ما يتقرّبُ به العبدُ إلى اللهِ، بعد المعرفةِ به، الصلاةُ وبرُ الوالدين وتركُ الحسدِ والعُجبِ والفَخْر .

* يا هشام: أصْلَحُ أيّامِكَ الذي هو أمامَكَ، فانظرْ أيَّ يومٍ هو وأَعِدَّ له الجوابَ، فإنَّكَ موقوفٌ ومسؤولٌ. وخذْ موْعِظتَكَ من الدّهرِ وأهلِهِ، فإنَّ الدَّهرَ طويلةٌ قصيرة؛ فاعملْ كأنَّك ترى ثوابَ عملِكَ لتكونَ أطمعَ في ذلك. واعقلْ عنِ الله وانظرْ في تصرّفِ الدّهرِ وأحوالِه، فإنَّ ما هو آتٍ مِن الدُّنيا، كَما ولّى مِنها، فاعتبرْ بها. [طولُ الدّهر وقِصَره: قيل إن المعنى بلاحظ دَهْر الفرد والدهر بالمعنى العام] وقال عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام: «إنَّ جميعَ ما طلعتْ عليه الشّمسُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، بَحرِها وبرِّها، وسهلِها وجبلِها، عند وليٍّ من أولياءِ اللهِ وأهلِ المعرفةِ بحقِّ اللهِ كَفَيْءِ الظِّلال» – ثمّ قال عليه السلام: «أَوَلَا حُرٌّ يدَعُ هذه اللُّماظَةَ لأهلِها [اللّماظة كناية عن الدّنيا، وهي بقايا الطعام في الفم]، فليس لأنفسِكُم ثمنٌ إلّا الجنّة فلا تَبيعوها بغيرِها، فإنَّه من رَضِيَ مِنَ الله بالدّنيا فقد رَضِيَ بِالخَسيس».

***

* يا هشام: إنَّ كُلَّ النّاسِ يُبصِرُ النّجومَ ولكنْ لا يَهتدي بها إلّا مَنْ يَعرِفُ مَجاريَها وَمنازِلَها. وكذلك أنتم تدرسونَ الحكمةَ ولكنْ لا يَهْتدي بها منكم إلّا مَنْ عَمِلَ بها.

* يا هشام: إنَّ المَسيحَ عليه السلام قالَ للحَواريّينَ: «... وإنَّ صِغارَ الذُّنوبِ ومُحَقَّراتِها مكائدُ إبليسَ، يُحقِّرُها لكم وَيُصَغِّرُها في أَعْيُنِكُم فتجتمعُ وَتكثرُ فتحيطُ بكم. بِحقٍّ أقولُ لَكُمْ: إنَّ النّاسَ في الحكمةِ رَجُلانِ: فَرَجُلٌ أتْقَنَها بقولِهِ وَصدَّقَها بفعلِه. ورجلٌ أتقنَها بقولِه وضَيَّعَها بسوءِ فعلِه، فَشتّانَ بينَهُما، فَطوبى للعلماءِ بالفعلِ وويلٌ للعلماءِ بالقول.... واجْعلوا قلوبَكُم بيوتاً للتَّقوى. ولا تَجْعلوا قلوبَكُم مَأْوى للشَّهَوات. إنَّ أَجْزَعَكُمْ عندَ البَلاءِ لَأَشدُّكُمْ حبّاً للدُّنيا، وإنَّ أصْبرَكُم على البلاءِ لأَزهدُكُمْ في الدُّنيا..».

***

* يا هشام: .. وإنَّ شرَّ عبادِ اللهِ مَنْ تَكْرَهُ مُجالسَتَهُ لفُحْشِه...

* يا هشام: إنَّ الزّرعَ يَنبتُ في السّهلِ ولا ينبُتُ في الصّفا، فكذلك الحكمةُ تَعمُرُ في قلبِ المُتواضعِ ولا تعمُرُ في قلبِ المُتكبِّرِ الجبّار، لأنَّ اللهَ جعلَ التّواضعَ آلةَ العقلِ، وجعلَ التَّكَبُّرَ من آلةِ الجهل، ألَمْ تعلمْ أنَّ مَنْ شَمَخَ إلى السَّقفِ برأسِهِ شَجَّهُ، ومَن خَفَّضَ رأسَهُ استظلَّ تحتَهُ وَأَكَنَّهُ (أي سترَه)؛ وكذلك مَنْ لَمْ يتواضعْ لله خَفَضَهُ اللهُ، ومَن تواضَعَ للهِ رفَعَهُ.

* يا هشام: ما أقبحَ الفَقْرَ بَعْدَ الغِنى، وَأَقْبَحَ الخطيئةَ بعدَ النُّسْكِ؛ وأقبحُ مِنْ ذَلِكَ العابدُ للهِ ثمّ يَترُكُ عبادَتَهُ...

من كَفَّ نفسَه عن أعراض الناس، أقالَه اللهُ عثرتَه يوم القيامة

أفضل ما يتقرّب به العبدُ إلى الله، بعد المعرفة به، الصلاةُ وبرُّ الوالدين وتركُ الحسد والعُجب والفَخْر

الثامن من شوّال: الذكرى السنوية لجريمة الوهّابيّين وآل سعود

إعداد: «شعائر»

أقدم الوهّابيّون السعوديّون خلال القرنين الماضيين على هدم أضرحة الأئمّة المعصومين من أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والقباب المشيّدة فوقها في مقبرة البقيع بالمدينة المنوّرة. هذا الاعتداء الوهّابيّ السعوديّ على مقامات أئمّة المسلمين ومنازل الوحي حصل على دفعتين؛ الأولى في منتصف رجب سنة ١٢٢٠ للهجرة/ ١٨٠٥، ميلاديّة إبّان ما عُرف بقيام الدولة السعوديّة الأولى.

والاعتداء الثاني على مقبرة البقيع (تضمّ أيضاً أضرحة عدد كبير من الهاشميّين، والصحابة، والتابعين، وأمّهات المؤمنين، وفيها بيت الأحزان الذي بناه أمير المؤمنين عليه السلام للصدّيقة الكبرى عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله) حصل في الثامن من شوّال لسنة ١٣٤٤ هجرية (١٩٢٥م)، عند قيام الدولة السعوديّة الثالثة.

الجريمة الأولى

عام ١٢٢٠ للهجرة/ ١٨٠٥م دخل الوهّابيّون المدينة المنوّرة بعد حصار استمرّ سنة ونصف السنة. يقول المؤرّخ الجبرتي (ت:١٢٣٧) في (عجائب الآثار): «وفيه – أي منتصف رجب ١٢٢٠ – وردت الأخبار بأنّ الوهّابيّين استولوا على المدينة المنوّرة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، بعد حصارها نحو سنة ونصف من غير حرب، بل تحلّقوا حولها وقطعوا عنها الوارد... فلمّا اشتدّ بهم الضّيق سلّموها ودخلها الوهّابيّون... فهدموا القباب، ما عدا قبّة الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم».

ويروي المؤرّخ حسن الرّيكي في (لُمَع الشّهاب) جانباً من الحادثة، فيقول: «فلمّا قرُب إلى المدينة أرسل – أي سعود بن عبد العزيز – إلى أهلها بدخوله، فأبوا وامتنعوا من ذلك، فحمل عليهم مراراً حتى دخلها فقتل منها بعض أهلها حيث سمّى أهلها بالناكثين. ويوم الحادي عشر جاء هو وبعض أولاده فطلب الخَدَم السودان الذين يخدمون حرم النبيّ، فقال أريد منكم الدلّالة على خزائن النبيّ، فقالوا لا نوليك عليها ولا نسلّطك، فأمر بضربهم وحبْسِهم حتى اضطرّوا إلى الإجابة، فدلّوه على بعضٍ من ذلك فأخذ كلّ ما فيها، وكان فيها من النقود ما لا يُحصى، وفيها تاجُ كِسرى أنوشروان، الذي حصل عليه المسلمون لمّا فُتحت المدائن.... وفيها تُحَف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته تزييناً لقبّته صلّى الله عليه وآله، وأخَذ قناديل الذهب، وجواهر عديدة.

ثم إنّه رتّب في المدينة أحداً من آل سعود، وخرج إلى البقيع يريدُ نجداً، فأمر بتهديم كلّ قبّة كانت في البقيع، و[من] تلك القبب ... قبّة الحسن بن عليّ رضي الله عنه، وقبّة عليّ بن الحسين رضي الله عنه، وقبّة محمّد الباقر، وقبّة جعفر الصّادق... رضي الله عنهم أجمعين».

البقيع بعد الهدم الأوّل

مرّ الرحالة الألماني هرمان بورخارت بالمدينة المنوّرة في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك بعد هدمِ الوهّابيّين أضرحةَ البقيع وتخريب المقبرة، فوصفها وصفاً مؤثّراً جاء فيه:

«ولعله (أي البقيع) أشدّ المقابر (بؤساً) بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقيّة في حجم «المدينة»، فليس به متر واحد حسن البناء، كلا؛ بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتُّخذت غطاء للقبور، إنّما هي أكوام من تراب أُحيطت بأحجار غير ثابتة... ويُعزى تخريب المقبرة إلى الوهّابيّين».

ويشير بورخارت إلى بقايا القباب والمباني الصغيرة التي عمد الوهّابيّون إلى تخريبها، ليختم بالقول: «والموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، وحُفَر عريضة..».

إخراج آل سعود من المدينة المنوّرة

بقيت الأمور في البقيع على حالها إلى أن تمّ إخراج آل سعود من المدينة المنوّرة على يد العثمانيّين سنة ١٢٢٧ للهجرة/ ١٨١٢ ميلاديّة. وفي الفترة اللاحقة أُعيد إعمار البقيع وبناء الآثار الإسلاميّة التي هدمها الوهّابيّون على صورة فنيّة تتّفق مع ذوق العصر، وساعد على ذلك التبرّعات السخيّة والأضرحة الجاهزة التي كانت تأتي من كافّة أنحاء العالم الإسلامي.

الجريمة الثانية

في المرّة الثانية أراد الوهّابيّون أن يُقدّموا مُبرّراً وعذراً لعملهم في هدم قباب أئمّة المسلمين وقبورهم وإنكار فضلها وفضل أهلها، عملاً باعتقادهم الفاسد أنّ تعظيمها عبادة لها؛ فأرسلوا قاضي قضاتهم المُسمّى «الشيخ عبد الله بن بليهد» إلى المدينة المنوّرة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ للهجرة وبعد دخوله المدينة، وجّه إلى علمائها سؤالاً حول جواز البناء على القبور واتّخاذها مساجد والتقرّب إلى الله تعالى بجاه أصحابها.

فجاء الجواب المنسوب إلى علماء المدينة المنوّرة بالنفي وعدم الجواز. ومن نافل القول إنّ علماء المدينة – أو جلّهم – أفتوا بذلك خوفاً من سطوة آل سعود والوهّابيّين. وحول هذه النقطة بالتحديد يقول السيّد محسن الأمين في كتابه (كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب):

«.. فجلّ علماء المدينة ساكتون خائفون من نسبة الإشراك (بالله تعالى) إليهم الذي به تُستحلّ دماؤهم وأموالهم وأعراضهم. فمن وافق منهم على هذا الجواب فخوفاً من السوط والبنادق».

وفي الثامن من شهر شوّال من السنة نفسها (١٣٤٤) قصد الوهّابيّون وآل سعود مرّةً أخرى إلى قبور البقيع، فهدموا قبابها والأضرحة والمساجد بصورة كاملة، مستهدفين أوّلاً وبكلّ حقد أضرحة الإمام الحسن المجتبى، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام.

وفي الوقت نفسه توجّهوا إلى قبر الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله محاولين هدمه لولا ردود الأفعال التي حصلت من خلال المظاهرات والاستنكارات في الدول الإسلاميّة والعربيّة.

وكان أحد الموالين من أهالي المدينة المنوّرة بعث برسالة إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف يصف فيها وقائع تلك الأيام، يقول: «..جميع البلاد الحجازيّة مقهورة تحت سيطرة ابن سعود وحكمه المطلق فيها. ومنذ أيّام ورد المدينة قاضي قضاة الوهّابيّين [يقصد الشيخ عبدالله بن بليهد] وبينما كان مجلسه غاصّاً بعلمائها صرّح أمامهم بتحريم زيارة القبور، وأنّها بدعة في الدين، وشركٌ بالله، وأنّه يلزم تحصيل الاتّفاق من جميع علماء المذاهب الأربعة على تخريبها تماماً ومحو آخر أثر من آثارها على وجه الأرض. ونظراً لذلك فقد مُنعت زيارة جميع المراقد المطهّرة، وأُغلقت أبوابها، ومنذ عشرين يوماً لم نجرؤ على قصد هذه المشاهد المشرّفة وزيارتها، إذ إنّ جنود الوهّابيّين قد رصدوا الحرم المطهّر النبويّ ومنعوا أيّ زائر من التقرّب إلى ضريح رسول الله، صلّى الله عليه وآله.

ثمّ إنّ قاضي قضاة الوهّابيّين لم يتمكّن من تحصيل الاتّفاق المطلوب من علماء المدينة، إلّا بعد أيّام، إذ استعمل معهم الوسائل الأخرى المخوّفة من القوّة، والبعض الآخر وافق ابتداء، فحكموا جميعاً طبق رغبته بتحريم زيارة القبور مطلقاً والتمسّح بها إلى الله، والاستشفاع بها إليه وتلاوة الزيارة فيها.

ثمّ صدر الأمر بهدم المراقد الشريفة وتخريبها، فشرع الجند أولّاً بنهب جميع ما تحتويه تلك البنايات المُقدّسة في البقيع من الفرش والستائر والمعلّقات والسرج وغير ذلك، ثمّ بدأوا يخرّبون تلك المشاهد المقدّسة، وفرضوا على جميع بنّائي المدينة الاشتراك في التخريب والتهديم... اليوم وهو الثامن من شوال وقع التخريب والهدم في القبة المقدّسة في البقيع، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. يلزم عليكم أن تبادروا جميعاً إلى إخبار علماء العراق جميعاً بهذه الحادثة الفجيعة».

صحيفة (الإندبندنت) البريطانية:

وثيقة سعودية تطالب بهدم قبر الرسول ﷺ ونقله إلى البقيع!!

إعداد: «شعائر»

تحت عنوان: «السعوديّون يخاطرون بإحداث شرخ بين المسلمين باقتراحهم نقل ضريح النبيّ محمّد»

(Saudis risk new Muslim division with proposal to move Mohamed's tomb)

ذكرت صحيفة (الإندبندنت) البريطانية في نسختها الورقية، وعلى موقعها الإلكتروني في عددها الصادر في اليوم الأوّل من شهر أيلول ٢٠١٤م، أنّ هناك دراسة سعودية يتمّ تداولها في رئاسة الحرمين، أعدّها الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل من «جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية» في الرياض، تُوصي الجهات المعنيّة بنقل قبر النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى البقيع، وذلك تحت ذريعة مخطّطات توسعة الأماكن المقدسة وتجديدها، وبدعوى أن زوّار الحرم النبويّ «يُعظِّمون القبر وهو عمل وثنيّ وشرك»، وفق تعبير هذه الدراسة التي طالبت أيضاً: «بعدم تجديد اللون الأخضر على القبّة، وطمس الأبيات الشعريّة من قصائد المدح المكتوبة في محيط الحجرة، وذلك درءًا لشرّ الشرك، والتوسّل، والاستغاثة بالرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في قبره وهو ميّت»!

The INDEPENDENT

TUESDAY 2 SEPTEMBER 2014

David Sedaris A walk on the wild side (of Sussex)

Steve Richards What Tories can – and can't – do about Ukip

Grace Dent Naked stars in the Cloud and a question of privacy

Robert Fisk Proof that there will never be a Palestine

Michael McCarthy A fond, sad farewell to the passenger pigeon

Virginia Ironside My wife won't make love unless she's drunk

Strong public opposition to UK air strikes on Isis, poll shows

ANDREW GRICE AND MIKEL NORRIS

Drive to claw back millions from wealthy crooks failing

OLIVER WRIGHT WHITEHALL EDITOR

Saudis may risk Muslim division with proposal to move Mohamed's tomb

● Controversial plan in accordance with Wahhabi interpretation of religion
● Second-holiest site in Islam attracts millions of pilgrims each year

ANDREW JOHNSON

الصفحة الأولى من (الإندبندنت) تتصدّرها صورة المسجد النبويّ الشريف، وعنوان التقرير حول هدم ضريح الرسول ﷺ

وبالإضافة إلى (الإندبندنت)، أشارت صُحف بريطانيّة أخرى مثل (ديلي ميل)، و(الغاردين) إلى هذه الوثيقة التي تعبّر عن نيّة الحكومة السعوديّة هدم قبر النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ونقله إلى مقابر البقيع!!

يقول أندرو جونسون معدّ التحقيق لصالح صحيفة (الإندبندنت): «قبر النبيّ محمّد قد يُهدَم (ويُنقل) إلى مكان غير معلوم، الأمر الذي سيؤدّي إلى إحداث فتنة في العالم الإسلامي جرّاء هذا العمل».

ويشير جونسون إلى أنّ «هذا الاقتراح الجدلي يُعَدّ جزءاً من دراسة لملفّ أعدّه أكاديمي سعودي (الشبل)... ويدعو إلى نقل قبر الرسول إلى مقابر البقيع من دون أيّ تحديد للقبر الجديد، كما يطالبُ هذا الملفّ، المكوّن من ٦١ صفحة بإزالة الحُجرات المحيطة بضريح النبيّ محمّد».

وعقب انتشار هذا الخبر بادرت وسائل إعلام سعوديّة رسميّة وغير رسميّة (قناة العربية، وموقع إيلاف الإلكتروني، وغيرهما) إلى «تأكيد أنّ الأمر لا يعدو كونه مقترحات بحث أكاديمي، وليس قراراً حكومياً»، متجاهلة حقيقة أنّ هذه الدراسة نشرت في المجلة العلمية المحكمة، الصادرة عن «مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي»، التابع «للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبويّ».

يشار إلى أنّ صحيفة (الإندبندنت) عمدت إلى حذف الخبر عن موقعها الإلكتروني بعد اعتراضات رسمية سعودية، ولكن يمكن مشاهدة الإشارة إليه بمراجعة أرشيف الصحيفة الإلكتروني (تاريخ ١ ايلول ٢٠١٤)، كما أنّ صحيفة (بلفاست تلغراف) fasttelegraph.co.uk عادت ونشرت التقرير بكامله على موقعها الإلكتروني.

دوائر ثقافية

موقف	مقابلة أحوال العيد بأحوال يوم القيامة	الفتّال النيسابوري رحمه الله
فرائد	ذِكر نبويّ لدفع الكَرب والبلاء	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(فلاح السائل) للسيد ابن طاوس	محمود إبراهيم
بصائر	موعظة الرسول صلى الله عليه وآله لأهل الصُّفّة	السيد فضل الله الراوندي رحمه الله
بصائر	أعمال مجرّبة للشفاء من الأمراض	السيد ابن طاوس قدس سره
مصطلحات	العَود... المعاد	المحقّق الشيخ حسن المصطفوي
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية / أجنبية / دوريات	إعداد: ياسر حمادة

موقف

مقابلة أحوال العيد بأحوال يوم القيامة

الفتال النيسابوري رحمه الله

من كتاب (روضة الواعظين) للعلامة زين المحدّثين، محمّد بن الفتّال النيسابوري، الشهيد في سنة ٥٠٨ للهجرة، وهو من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريّين، اخترنا هذا النصّ الداعي إلى التفكّر والاعتبار بيوم العيد، من خلال مقابلة أحواله بأحوال يوم القيامة.

ينبغي للمؤمن أن يحضرَ العيد معتبراً لا ناظراً، حتّى لا يكون حاله كحال الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولَعِباً، فقد قيل: إنّ الحكمة في العيدَين تذكيرُ القيامة وأهوالها، وذلك أنّ أحوالها موافقة لأهوالها.

* فإذا كانت ليلة العيد فاذكر الليلة التي تكون صبيحتها يوم القيامة، فإذا سمعتَ صوت الطبل والطوس والبوق فاذكر نفْخ الصُّور. قال الله تعالى في سورة (الكهف): ﴿..وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾ (الآية:٩٩).

* فإذا خرجتَ من بيتك يوم العيد إلى المصلّى، فاذكر يوم خروجك من الدنيا، ويوم خروجك من القبر إلى المحشر. قال الله تعالى في سورة (ق):﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ (الآية:٤١).

* وإذا رأيتَ الناس متوجّهين إلى المصلّى مختلفين في أحوالهم؛ فبعضهم يلبسون الثياب الفاخرة، وبعضهم الخُلقان، وبعضهم الجُدد، فاذكر اختلاف أحوالهم في الآخرة؛ فبعضهم يلبسون الحُلَل، وبعضهم يلبسون القَطِران.

* وإذا رأيت اختلافهم في المشي؛ قومٌ مشاة وقومٌ رُكبان، فاذكر مشيَك على الصراط. قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «**يردُ النّاسُ الصّراطَ، ثمّ يَصدرونَ عَنها بأعمالِهم؛ فأوّلُها كَلمحِ البَرق، ثمّ كَالرّيح، ثمّ كَحُضْرِ الفرَس، ثمّ كَالرّاكِب في رَحْلِه، ثمّ كَشَدِّ الرّجل، ثمّ كَمَشْيِه**».

* واذكر أيضاً قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ (مريم:٨٥-٨٦)، أي عُطاشى. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله «**يُحشَرُ الناسُ على ثلاثةِ أثلاث: ثلثٌ على الدّواب، وثلثٌ يَنسلون على أقدامهم نَسْلاً، وثلثٌ على وجوههم**».

* وإذا جلستَ في المصلّى ورأيت الناس مجتمعين منتظرين للسلطان، بعضُهم في الشمس، وبعضُهم في الظلّ، وبعضُهم قيام، فاذكر وقوفَك في عَرَصات (ساحات) القيامة منتظراً للحساب، وفصْل القضاء. قال الله تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿..إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ (الآيتان:٤٢-٤٣). قومٌ في الشمس قد ألجمَهم العرق، وقومٌ في ظلّ العرش.

* وإذا رأيتَ الألوية والرايات، فاذكر ألويةَ القيامة؛ لكلّ قومٍ لواء.

* وإذا قمتَ إلى الصلاة واصطفّ الناس فاذكر يوم العرض. قال الله تعالى في سورة (الكهف): ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا..﴾ (الآية:٤٨).

* وإذا صعد الإمام المنبر وخطب، والناسُ سكوتٌ منصتون، فاذكر يوم يتقدّم رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم للشفاعة، والخلقُ حَيارى سكوت.

* وإذا أخذ في الخطبة بالوعد، والوعيد، والترغيب، والترهيب، فاذكر يوم ينادي المنادي: «**سعدَ فلان، وشقيَ فلان**».

* وإذا رأيتَ الناس منصرفين طرقُهم مختلفة، ومنازلُهم مختلفة، وأطعمتُهم مختلفة، فاذكر قوله تعالى في سورة (الروم): ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ (الآية:١٤)، ﴿..فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى:٧). وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (الزلزلة:٦).

* وإذا رأيتَ السُّؤّالَ (المستعطين) في الطريق قد مدّوا أيديهم والغبارُ على وجوههم، وأثرُ الضُّرّ والمَسكنة ظاهرٌ عليهم، فاذكر قوله تعالى في سورة (الروم): ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ (الآية:١٢).

فهذه مقابلة أحوال العيد بأحوال القيامة، وفيها عبرةٌ لَمن اعتبر، وعِظَةٌ لَمن تذكّر.

فرائد

ليس من نبيٍّ إلا وقد رعى الغنم..

«روى الكليني، عن جابر، عن الباقر عليه السلام، قال:

قالَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم: ليس من نَبيٍّ إلّا وقد رعى الغنمَ. كنتُ أنظرُ إلى الغنم والإبل وأنا أرعاها قبلَ النبوّة، وهي متمكّنة ما حولها شيءٌ يُهجيّها حتّى تُذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ فأعجَب، حتّى حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يُضرب ضربةً ما خلق الله جلّ وعزّ شيئاً إلّا يسمعُها ويُذعَر لها، إلّا الثّقلَين [الإنس والجنّ]....

فنَعوذُ بالله من عذاب القبر».

(الشهيد الأول، ذكرى الشيعة)

التوسُّل بأهل البيت عليهم السّلام

«قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمّار:

«والله، إنّ سليمانَ بنَ داودَ سألَ اللهَ بنا، أهلَ البيت، حتّى عُلِّمَ منطقَ الطَّير».

(الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار)

الفَرزدَق

«**(فرزق) الفَرَزْدَق**: جمعُ فَرَزْدَقَة، وهي القطعة من العَجين؛ قاله الجوهريّ. وأصلُه بالفارسية (برازده).

وبه سُمِّيَ الفرزدَق [الشاعر]، واسمُه (هَمّامُ بنُ غالبِ بنِ صَعْصَعة التّميميّ). وكنيتُه أبو فراس.

روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والحسين عليه السلام».

(الطُّريحي، مَجمع البحرين)

مَن أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني..

«كنز الكراجكيّ: قال: روى الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد الحسينيّ، عن عليّ بن عثمان الأشجّ المعروف بأبي الدنيا، قال:

حدّثني أميرُ المؤمنين عليه السلام، قال:

قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مَن أحبَّ أهلَ اليمن فقد أحبّني، ومَن أبغضَهم فقد أبغضَني».

(المجلسي، بحار الأنوار)

للهمّ والغمّ، والكَرب والبلاء

«عن عاصم بن حميد، عن أسماء قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

مَن أصابه هَمٌّ أو غَمٌّ أو كَرْبٌ أو بَلاءٌ أو لَأْوَاء، فَلْيَقُلْ:

اللهُ ربّي لا أُشْرِكُ بِهِ شيئاً، توكّلتُ على الحيّ الذي لا يَموت».

(المجلسي، بحار الأنوار)

(فلاح السائل ونجاح المسائل) لصدر العلماء السيّد ابن طاوس

منظومة معرفيّة متكاملة في العبادة والتخلُّق

قراءة: محمود إبراهيم

الكتاب: (فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة)

المؤلف: سيّد العلماء المراقبين، رضيّ الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن طاوس (ت: ٦٦٤ للهجرة)

الناشر: «دار جواد الأئمة عليهم السلام»، بيروت ٢٠١١م

مع كتاب (فلاح السائل ونجاح المسائل) للفقيه والعارف الكبير أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاوس العلويّ الحسينيّ قدس سره، نجدنا أمام أحد أبرز المنجزات في عالم المعرفة العقائديّة الإسلاميّة ونظام عملها. فالكتاب يشكّل منظومة عباديّة وأخلاقيّة وتربويّة وثقافيّة في غاية الإتقان. وقد بذل السيّد ابن طاوس جلّ جهده لكي يُظهر عمله على الملأ الإسلامي كرسالة هداية وترشيد لأبناء الأُمّة من الخاصّة والعامّة على السواء.

ولعلّ ما يضاعف من منزلته الرفيعة أنّ كتاب (فلاح السائل) لمّا صدر في حينه ملأ فراغاً روحيّاً ومعنويّاً كان حلّ بقسوته على المجتمع الإسلامي، لا سيّما لجهة ما أدّت إليه الفتن والنزاعات الداخليّة وانحراف السلطة الحاكمة من آثار جدّ سلبيّة على الثقافة الإسلامية، وخصوصاً في مجال التديّن والالتزام بالعبادات والأحكام الشرعيّة.

ولئن كان هذا الكتاب بمثل هذه المنزلة زمنَ صدوره في القرن السابع الهجري، فهو ينطوي اليوم – أي بعد ثمانية قرون على تأليفه – على منزلة كبيرة من الأهميّة والرفعة. ذلك بأنّ المنظومة العباديّة والمعنويّة التي يتضمّنها توفِّرُ البناءَ التعليمي المتكامل للعمل العبادي، كما تستجيبُ بعمق لحاجات الأُمّة وهي تواجه الغزوات الثقافيّة والفكريّة وعمليات إفساد معنوي وأخلاقي قلّ نظيره.

محتوى المنظومة ومقاصدها

مَن يقرأ الجهد الذي قدمه السيّد ابن طاوس في كتاب (فلاح السائل)، سيجد نفسه أمام هندسة معصومة في عمل اليوم والليلة. فقد توزّع الكتاب على ثلاثين فصلاً جرى ترتيبه طبقاً لأوقات الصلوات الخمس وتعقيباتها، فضلاً عن الأعمال العباديّة الداخلة في باب الدعاء والمناجاة وتزكية النفس وآداب السير والسلوك.

من هنا تتحدث الفصول عن تعظيم الصلاة، وصفة الصلاة، وفضيلة الدعاء، وكيفيّة مناجات الرحمن، وصفات الداعي، والمناجاة، والدعاء للأئمّة عليهم السلام، والعترة الطاهرة، وصفة التراب، والغسل عقلاً ونقلاً، وصلاة العصر، وصفة الأذان والإقامة، وما يُقال عند دخول المساجد، وعند زوال الشمس، ودعاء الغروب، وصلاة الفجر، وصلاة العشاء الأخيرة وتعقيبها، وصلاة الوتيرة، وما ينبغي القيام به قبل النوم، وعند الاستيقاظ في الليل.

يمكن القول على وجه الإجمال إنَّ كتاب (فلاح السّائل ونجاح المسائل في عمل اليوم واللّيلة) هو من كُتب الأدعية التي ألّفها السيّد ابن طاوس، وقسّمه إلى جزئين:

الجزء الأوّل: في الأدعية الواردة في الظُّهر والليل.

والجزء الثاني: فيما ورد من أدعية من حين اليقظة ووقت صلاة الليل إلى وقت الظهر.

غايته من كتابه

على سياق ما اعتدنا عليه في مؤلّفات السيّد ابن طاوس لجهة الأسباب التي دفعته إلى تأليف كُتبه، من المهمّ أن ننقل ما ذكره في مقدّمة (فلاح السائل)، وفيه يبيّن لنا الدافع الروحي والتربوي لإنجاز هذا الكتاب، فيقول:

«فلمّا رأيت فوائد الخَلوة والمناجاة وما فيها من مراده لعبده من العزّ والجاه والظفر بالنجاة والسعادات في الحياة وبعد الوفاة، وجدت في (المصباح الكبير) الذي صنّفه جدّي أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله، لبعض أُمّهاتي، شيئاً عظيماً من الخير الكثير. ثمّ وقفتُ بعد ذلك على تتمّات ومهمّات فيها مراد من يحبّ لنفسه بلوغ غايات ولا يقنع بالدون ولا يرضى بصفقة المغبون.... فعزمتُ أن أجعل ما اختاره بالله، جلّ جلاله، ممّا

رويتُه أو وقفتُ عليه وما يأذنُ جلّ جلاله في إظهاره من أسراره.... وما هداني إليه كتاباً مؤلّفاً أُسمّيه كتاب (تتمات مصباح المتهجّد ومهمّات في صلاح المتعبّد)، وها أنا ذا مرتّبٌ ذلك بحول الله جلّ جلاله في عدّة مجلّدات بحسب ما أرجوه من المهمّات والتتمّات».

وقد عدّد المؤلّف ما سمّاه (تتمّات للمصباح الكبير) وهي عشرة مجلّدات جاءت على الترتيب التالي:

المجلّد الأول والثاني عنوانهما: (**فلاح السائل في عمل اليوم والليلة**). وهو الكتاب موضوع القراءة.

المجلّد الثالث: (**زهرة الربيع في أدعية الأسابيع**).

المجلّد الرابع: (**كتاب جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع**).

المجلّد الخامس: (**كتاب الدروع الواقية من الأخطار فيما يُعمَل مثله كلّ شهر على التكرار**).

المجلّد السادس: (**كتاب المضمار للسباق واللّحاق بصوم شهر إطلاق الأرزاق وعتاق الأعناق**).

المجلّد السابع: (**كتاب السالك المحتاج إلى معرفة مناسك الحجّاج**).

المجلّد الثامن والتاسع: (**كتاب الإقبال بالأعمال الحسنة فيما نذكره ممّا يُعمَل ميقاتاً واحداً كلّ سنة**).

أما المجلّد العاشر والأخير: (**كتاب السعادات بالعبادات التي ليس لها وقتٌ محتومٌ معلومٌ في الروايات**).

أسلوبيّة الكتابة

كان قصد السيّد ابن طاوس رحمه الله – كما ذكر في مقدّمة الكتاب – تتميم (المصباح الكبير) لجدّه الشيخ الطوسي رحمه الله، لكنّه ما لبث أن غيّر رأيه وجعل كتابه (فلاح السائل) كتاباً مستقلاً عن المصباح.

أمّا السبب فيعود إلى أمرين على ما يتبيّن:

أولاً: إلى أنّ السيّد ابن طاوس أراد تأليف كتابٍ حاوٍ لأعمال اليوم والليلة، فذكر الروايات الواردة في الباب وعلّق على ما يحتاج منها إلى التوضيح، تارةً بصورة مختصرة وأخرى مفصّلة.

وثانياً: لأنّه أراد أن يكون لهذا الكتاب مكانة خاصّة ومنفردة.

وحيث إنّ (فلاح السائل) هو أوّل التتميمات التي ذكرها السيّد، لذا فقد ذكر طُرقه وأسانيده في نقل الأحاديث والروايات إلى المعصوم، وفي المقدّمة سنرى كيف توجّه إلى قارئه موضحاً منهجه في نقل الأحاديث والروايات الصحيحة عن المعصومين عليهم السلام. يقول:

«اعلم أنّني أروي فيما أذكر من هذا الكتاب رواياتٍ وطريقي إليها من خواصّ أصحابنا الثّقات، وربّما يكون في بعضها بين بعض الثّقات المشار إليهم وبين النبيّ صلّى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة صلوات عليهم رجلٌ مطعونٌ عليه بطعنٍ من طريق الآحاد، أو يكون الطعنُ عليه بروايةِ مطعونٍ عليه من العباد، وبسبب محتمَل لعذر للمطعون عليه يعرف ذلك السبب، أو يمكن تجويزه عند أهل الانتقاد، وربما يكون عذري أيضا فيما أرويه عن بعض مَن يُطعن عليه أنني أجدُ مَن اعتمد عليه من ثقات أصحابنا الذين أسندتُ إليهم عنه، أو إليه عنهم، قد رووا ذلك عنه، ولم يستثنوا تلك الرواية ولا طَعنوا عليها ولا تركوا روايتها، فأقبلُها منهم وأُجوّز أن يكونوا قد عرفوا صحّة الرواية المذكورة بطريقة أخرى محقّقة مشكورة، أو رأوا عمل الطائفة عليها فاعتمدوا عليها، أو يكون الراوي المطعون على عقيدته ثقةً في حديثه وأمانته».

بذلك سنجد السيّد ابن طاوس حريصاً على تظهير ما يريد كتابته بمنهجيّة مخصوصة انفرد بها في كثيرٍ من الأحيان عن سواه من سابقيه ومعاصريه. لكنها في كل الأحوال منهجيّة تطابق قواعد عِلم الرجال والحديث من دون أن يستغرق في الشكليات العارضة على حساب المحتوى والمقصد.

يشكّل كتاب (فلاح السائل) منظومة عباديّة وأخلاقيّة وتربويّة وثقافيّة في غاية الإتقان

أراد السيّد ابن طاوس أن يُظهر عمله كرسالة ترشيد لأبناء الأُمّة من الخاصّة والعامّة على السواء

موعظة النبيّ صلى الله عليه وآله لأهل الصُّفَّة

الكَيِّسُ... أكثرُ الناس ذِكراً للموت

السيد فضل الله الراوندي رحمه الله

كتاب (النوادر) للسيّد فضل الله بن علي الحسني الراوندي، المتوفّى سنة ٥٧١ للهجرة، مصنّف روائي ومن مصادر كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي، يضمّ بين دفّتيه مجموعة من الأحاديث الفقهية والأخلاقية. وفي (الذريعة) للشيخ الطهراني أن جُلّ أخباره من كتاب (الجعفريات) المرويّ عن إسماعيل بن الإمام الكاظم عليه السلام.

هذا النصّ المروي عن الإمام الصادق عليه السلام موعظة أخلاقية لرسول الله صلّى الله عليه وآله ألقاها على أهل الصُّفّة، وهم جماعة بلا مأوى من فقراء المهاجرين، كانوا يتفيّئون ظلال بعض زوايا المسجد النبويّ، وكان صلّى الله عليه وآله يدعوهم إلى بيته ليلاً للعشاء ويفرّقهم بين أصحابه.

ومن أبرز أصحاب الصُّفّة أبو ذرّ الغفاريّ، وحذيفة بن اليمان، وحنظلة غسيل الملائكة.

قال جعفر الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يأتي أهلَ الصُّفّةِ وكانوا ضِيفانَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، كانوا هاجروا مِن أهاليهِم وأموالِهِم إلى المدينَةِ، فأسكنَهُم رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله صُفّةَ المسجدِ وهم أربَعُمائةِ رجلٍ، يُسلّمُ عليهم بالغُدْوَةِ والعَشِيِّ، فأتاهمْ ذاتَ يومٍ، فمنهم مَن يَخصِفُ نَعْلَهُ، ومنهم مَن يَرقَعُ ثَوْبَهُ، ومنهم من يَتَفَلّى، وكانَ رسولُ اللهِ يَرْزُقُهُمْ مُدّاً مُدّاً من تمرٍ في كلِّ يوم، فقامَ رجلٌ منهم، فقال: يا رسولَ اللهِ! التمرُ الذي تَرْزُقُنا قد أحرقَ بُطونَنا.

فقال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: **أَما إنّي لَو اسْتَطَعْتُ أَنْ أُطْعِمَكُمُ الدُّنْيا لَأَطْعَمْتُكُمْ، وَلَكِنْ مَنْ عاشَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْدي فَسَيُغْدى عَلَيْهِ بِالجفانِ وَيُراحُ عليه بالجفانِ، وَيَغْدو أحدُكُمْ في قَميصةٍ وَيروحُ في أُخرى، وَتُنَجِّدونَ بيوتَكُمْ كَما تُنَجَّدُ الكَعْبَةُ.**

فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنّا على ذلكَ الزمانِ بِالأشواقِ، فمتى هو؟

قالَ صلّى الله عليه وآله: زَمانُكُم هذا خيرٌ من ذلِكَ الزَّمانِ، إنَّكم إنْ مَلأتُمْ بطونكم مِنَ الحَلالِ توشِكونَ أَنْ تَمْلأوها مِنَ الحَرامِ.

فقامَ سعدُ بنُ الأشجِّ فقال: يا رسولَ الله! ما يُفعلُ بنا بعدَ الموتِ؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **الحسابُ والقَبْرُ، ثُمَّ ضِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ سَعَتُهُ.**

فقال: يا رسولَ اللهِ! هلْ تخافُ أنتَ ذلك؟!

فقال: لا، ولكنْ أستحي مِنَ النِّعمِ المُتظاهرةِ التي لا أُجازيها ولا جُزْءاً من سَبعة.

فقال سعدُ بْنُ الأَشجّ: إنّي أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُ رسولَهُ، ومَنْ حَضَرَني؛ أنَّ نومَ اللَّيلِ عليَّ حرامٌ، والأكْلَ بالنّهارِ عليَّ حرامٌ، ولباسَ اللَّيلِ عليَّ حرامٌ، ومخالطةَ الناسِ عَلَيَّ حرامٌ، وإتْيانَ النِّساءِ عليَّ حرامٌ.

فقال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: **يا سَعْدُ، لَمْ تَصْنَعْ شَيْئاً، كيفَ تأمرُ بالمعروفِ وَتَنْهى عَنِ المُنكرِ إذا لم تُخالِطِ النّاسَ؟ وَسكونُ البَرِّيَّةِ بَعْدَ الحَضَرِ كُفْرٌ للنّعمَة؛ نَمْ باللَّيلِ وكُلْ بالنّهارِ، والبَسْ ما لم يَكنْ ذَهَباً أو حَريراً أو مُعَصْفَراً،** (مصبوغ بصفرة) **وَائتِ النِّساءِ.** «...»

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

بِئْسَ القَوْمُ قومٌ لا يَأمرونَ بالمعروفِ ولا يَنهوْنَ عنِ المُنكر، بئسَ القَوْمُ قومٌ يَقْذِفونَ الآمرينَ بالمعْروفِ والنّاهينَ عنِ المُنْكرِ، بئسَ القَوْمُ قَوْمٌ لا يَقومونَ للهِ تعالى بالقِسْط، بئسَ القَوْمُ قومٌ يَقْتُلونَ الّذينَ يَأمرونَ النّاسَ بِالقِسطِ في النّاسِ، بئسَ القَوْمُ قومٌ يكونُ الطّلاقُ عندَهم أوثقَ من عهْدِ الله تعالى، بئسَ القَوْمُ قومٌ جعلوا طاعةَ أيمانِهم (في نُسَخ: آبائهم أو إمامهم) **دونَ طاعَةِ الله، بئسَ القَوْمُ قومٌ يختارونَ الدُّنْيا على الدِّينِ، بِئْسَ القَوْمُ قَوْمٌ يستحلّونَ المحارِمَ والشَّهواتِ والشُّبُهاتِ.**

قيل: يا رسولَ الله! وأيُّ المؤمنينَ أَكْيَسُ؟

قال: **أَكثرُهُمْ للموتِ ذِكراً، وأحسنُهُمْ له استِعْداداً، أولئكَ همُ الأَكياسُ.**

أعمالٌ للشفاء من الأمراض

يا مَن اسمُه دواء، وذِكرُه شفاء

السيّد ابن طاوس رحمه الله

لا منافاةَ بين مراجعة الطبيب كما يأمرُ الدّين، وبين العناية التامّة بالدعاء، وتنفيذ أعمال مرويّة للشفاء من الأمراض. في كتابه الموثّق والقيّم (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) أورد سيّد العلماء المراقبين، السيّد الجليل ابن طاوس - كما يصفُه الشيخ البهائيّ العامليّ - الكثير ممّا لا يستغني عنه إنسان، ومنه ما يصرّح السيّد بأنّه مُجرّب ثَبتتْ فائدتُه. من ذلك ما تختاره «شعائر» لهذا العدد، من الكتاب المذكور بتصرّفٍ يسير.

قال السيّد ابن طاوس قدّس سرّه:

*** في عُوذَةٍ جرّبناها لسائر الأمراض، فتزولُ بقدرة الله، جلّ جلاله، الذي لا يَخيب لديه المأمول:**

- إذا عرضَ مرضٌ فاجعل يدَك اليُمنى عليه، وقُل:

«اسْكُنْ أَيُّهَا الْوَجَعُ وَارْتَحِلِ الْسَّاعَةَ مِنْ هَذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ، سَكَّنْتُكَ وَرَحَّلْتُكَ بِالَّذِي سَكَنَ لَهُ مَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

فإن لم يَسكُن في أوّل مرّة فقُل ذلك ثلاث مرّات، أو حتّى يَسكن إن شاء الله تعالى.

***

*** في ما نذكرُه لزوال الأسقام، وجرّبناه فبلغنا به نهايات المرام:**

- يكتب في رُقعة (ورقة):

«يَا مَنِ اسْمُهُ دَوَاءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، يَا مَنْ يَجْعَلُ الشِّفَاءَ فِيمَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْ شِفَائِي مِنْ هَذَا الدَّاءِ فِي اسْمِكَ هَذَا؛ يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ، يَا اللهُ. يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ». [ثمّ يحمل الرقعة].

***

*** في ما نذكره من الاستشفاء بالعسل و الماء:**

اعلم أنّ الله، جلّ جلاله، يقول: ﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ..﴾ [الأنبياء: ٣٠]

وقال في العسل: ﴿..يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ..﴾ [النحل: ٦٩]

فإذا مُزج للمريض العسلُ بالماء، وكان على يقينٍ من تصديق القرآن، حصل بذلك الظَّفَرُ بالشّفاء إن شاء الله تعالى.

***

*** في ما جرّبناه أيضاً وبلغنا به ما تمنّيناه:**

«اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الْمَرَضُ عَرَضَ مِنْ بَابِ الْعَدْلِ، وَعَبْدُكَ قَدْ قَصَدَ (إِلَيْكَ) مِنْ بَابِكَ بَابِ الْفَضْلِ، وَسُلْطَانُ الْفَضْلِ أَرْجَحُ لِلْكَامِلِ بِذَاتِهِ (مِنْ) دِيوَانِ الْعَدْلِ، فَاسْكُنْ أَيُّهَا الْمَرَضُ وَارْتَحِلِ السَّاعَةَ بِحُكْمِ الْفَضْلِ، وَبِمَا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ أَهْلٌ».

***

*** فصلٌ: وإن أراد مَن يشربُ عسلاً يسيراً بالماء للشفاء، يقول:**

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَرَّفْتَنِي بِالدِّلَالَةِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَالْهِدَايَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ رَسُولِكَ وَخَاصَّتِكَ، وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْمُصَدِّقِينَ لِقُرْآنِكَ وَالْمَشْمُولِينَ بِإِحْسَانِكَ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، فَكَانَ الْمَاءُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ.

وَقُلْتَ، جَلَّ جَلَالُكَ، فِي الْعَسَلِ وَالظَّفَرِ مِنْهُ بِالشِّفَاءِ: ﴿..يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ..﴾، وَقَدْ جَمَعْتُ بَيْنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْحَيَاةِ، وَبَيْنَ الْعَسَلِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْعَافِيَةِ وَالنَّجَاةِ.

اللَّهُمَّ فَعَجِّلْ رَحْمَتِي، وَإِجَابَتِي فِي عَافِيَتِي، وَتَصْدِيقَ مَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِكَ الصَّادِقِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ الصَّادِقِ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَطْلُبُ الْبَقَاءَ وَالشِّفَاءَ لِسَعَادَتِي بِعِبَادَتِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ ذَلِكَ دَاعِياً لِلشَّاكِّينَ فِي رُبُوبِيَّتِكَ وَالْمُخَالِفِينَ لِرِسَالَتِكَ إِلَى هِدَايَتِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ».

العَوْد.. والمعاد

المحقّق الشيخ حسن المصطفوي

كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) للعلّامة الراحل الشيخ حسن مصطفوي، كتابٌ نوعيّ في بابه، ومنه اختارت «شعائر» هذه المادّة لارتباطها بـ «المَعاد»، والتفريق بينه وبين الرجوع، لتصحيح خطأ يراه المؤلّف شائعاً في الحديث عن معنى «المَعاد».

بعد أن استعرض المؤلّف الشيخ المصطفوي ما ورد في المصادر اللغويّة حول «**العَوْد**»، قال: إنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رجوعٌ إلى عملٍ في المرتبة الثانية، بمعنى أنّه إقدام ثانويّ بعد المرتبة الأولى.... وبهذا يظهر حقيقة إطلاق المادّة على «**العُود**»، و«**العادة**»، و«**العائدة**»، و«**العِيد**»، و«**العيادة**»، وأمثالها.

فإنّ «**العُودَ**» خشبٌ لطيف تجدّد نباته ونموّه. و«**العادة**» حالة تُوجب إعادة ما عُمل في الدفعات اللاحقة. و«**العائدة**» منافع قد تكرّرت. و«**العيد**» أيّام سرور وبهجة مخصوصة تكرّرت. و«**العيادة**» باعتبار تكرّرها.

فالفرق بيّنٌ بين المادّة وبين «**الرجوع**»: فإنّ الرجوعَ عَوْدٌ إلى ما كان فيه أو عليه من قبل. ويدلّ على الأصل صريحُ هذه الآيات الكريمة:

- ﴿..وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].
- ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا..﴾ [النور: ١٧].
- ﴿..وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ..﴾ [الأنعام: ٢٨].

فليس المراد مفهوم الرجوع، وإلّا لاستُعملت بحرف «إلى»، مضافاً إلى أنّ الرجوع إلى منهيّ لا يدلّ على العمل به - كما في قوله تعالى:

- ﴿..وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ..﴾ [التوبة: ١٢٢].
- ﴿..فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ..﴾ [الأنبياء: ٦٤].

فالرجوع إلى شيء: لا يدلّ بأزيد من الحركة إلى ما كان فيه أو عليه، وهذا بخلاف العَود، فإنّه يدلّ على إقدامٍ ثانويّ.

- ﴿..كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ..﴾ [الأنبياء: ١٠٤].
- ﴿..فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ..﴾ [الإسراء: ٥١].
- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الروم: ١١].
- ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ..﴾ [يونس: ٣٤].

بدأ الخَلقُ في عالم المادّة بمقتضى هذا العالم، ثمّ بعد فناء عالم المادّة يظهر خلقٌ جديدٌ، وعالمٌ لطيفٌ، وبدنٌ متناسب برزخيّ، ويعود ثانياً على صورة الخلق المبتدَأ ويدوم على تلك الصورة إلى أن تقوم القيامة الكبرى.

والتعبير بالعَود: إشارة إلى أنّ الخلق الثانويّ عينُ الأوّل ذاتاً وروحاً، وهو غيره ظاهراً وفي الخصوصيّات القالبيّة البدنيّة.

وهذه الإعادة جارية في عالم النبات أيضاً، حيث ييبس شجر ويفنى بدنه ثمّ ينمو وينبت من حبّته شجر آخر متماثلاً بالأوّل. وقريباً من هذا الجريان والتبادل والإعادة، يجري في عالم الحيوان أيضاً.

وأمّا الإنسان: فالأصل فيه هو الروح، وهو بعينه باقٍ في الخلق الثانويّ والتبدّل إنّما يتحقّق في اللباس والقالب البدنيّ.

نعم إنّ بدن الإنسان كاللباس الحافظ الساتر، وهو في (تغيّر) دائماً، ولا تزال تتغيّر أجزاؤه وتضعف إلى أن يموت ويفنى.

ولمّا كان الروح باقياً ثابتاً وهو من وراء عالم المادّة، فيبقى قهراً ما يرسخ فيه من آثار الأعمال والأفكار، ومن خواصّ الصفات النفسانيّة.

كما أنّ تلك الخصوصيّات والآثار الذاتيّة في النباتات والحيوان تنتقل إلى أخلافها بواسطة الحبّة والنطفة، وهذا هو التوارث.

والفرق بين الإنسان وغيره: هو وجود الروح [المراد بالروح هنا أعمّ من الحياة] في الإنسان، وبتبعه يوجد العقل والتدبير، وبهذا يُثاب ويعاقب.

فالإنسان يرى آثار عمله وصفاته على سبيل القهر والطبع والاضطرار، كما في النبات والحيوان أيضاً. وعلى سبيل العقل والتدبير والاختيار، وهذا من امتيازاته ومُختصّاته:

- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. [الزلزلة: ٨].

- ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ..﴾ [الروم: ٢٦-٢٧].

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩].

- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ..﴾ [يونس: ٣٤].

هذه الآيات الكريمة عامّة بجميع المخلوقات، جماداً ونباتاً وحيواناً وإنساناً، فالخلق دائماً في لَبسٍ جديد، وفي إعادة لما كان من الإبداء، والإعادة أيسر عليه تعالى وأهون من الإبداء، لبقاء المادّة الأصيلة ومسبوقيّة الصورة.

فظهر أنّ الإعادة أعمّ من البعث والقيامة المصطلحة مفهوماً وموردا.

- ﴿ ..وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢، ١٣].

- ﴿ .. فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ..﴾ [الإسراء: ٥١].

منازل خلق الإنسان

هذه الآيات الكريمة بقرينة ما قبلها وما بعدها: تدلّ على عود الإنسان في العالم البرزخيّ خارجاً عن الأرض، فيرى فيه نتيجة أعماله.

- ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وفيها إشارة إلى ثلاثة منازل في خَلق الإنسان:

١) **خلقُه مقدّمةً**: هو الخلق من الأرض بصورة النبات، فانّ الماء والتراب يتحوّل إلى صورة النباتات.

٢) **مبدأ خِلقته**: وهو التحوّل من النباتات المأكولة إلى صورة المادّة الأوّليّة لخلق الإنسان، ويبتدئ من النطفة. وهذه المرحلة أيضاً تمتدّ على الأرض إلى أن تتحوّل إلى دورة أخرى وهي المرحلة الثالثة الخارجة عن وجه الأرض.

٣) **إعادته خارجاً عن الأرض**: بموت البدن وفنائه، وتحوّل دورة الحياة الدنيويّة إلى حياة برزخيّة.

ويظهر من الآيتين الكريمتين: أنّ هذه ثلاثة مراحل من بدء تكوّن الإنسان إلى انتهاء حياته، والمرحلتان الأوليان تجريان في وجه الأرض ومن الأرض، والمرحلة الثالثة خارجة عن محيطها وفيما وراء عالم المادّة، إلى أن تنتهي إلى لقاء الله عزّ وجلّ: ﴿..ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ١١].

والمعاد: اسم مكان، بمعنى محلّ يُعاد فيه أمر. ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ..﴾ [القصص: ٨٥].

وهو في اصطلاح المُتشرّعين: عبارة عن الحياة البرزخيّة والعالم الروحانيّ بعد انتهاء عالم المادّة، يُعاد فيها خلق الإنسان بعد موت البدن، بإعادة خلق البدن البرزخيّ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿..وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

هذا ما يُستفاد من موارد استعمال موادّ هذه الكلمة في كتاب الله الحكيم. وقد كثُر الاشتباه والانحراف في تفسير هذه المادّة ومشتقّاتها، حيث فسّروها بمعنى الرجوع، ثمّ وقعوا في مزلّة ومضلّة.

حِكَم

نثرُ الدُّرَر

من حِكم الإمام الصادق عليه السلام

مختارات من قصارى كلمات الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، المعروفة بـ«نَثْر الدُّرَر»:

* «لَا يَسْتَغْنِي أَهْلُ كُلِ بَلَدٍ عَنْ ثَلَاثَةٍ يُفْزَعُ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَإِنْ عُدِمُوا ذَلِكَ كَانُوا هَمَجاً؛ فَقِيهٍ عَالِمٍ وَرَعٍ، وَأَمِيرٍ خَيِّرٍ مُطَاعٍ، وَطَبِيبٍ بَصِيرٍ ثِقَة».
* «كُلُ ذِي صِنَاعَةٍ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ يَجْتَلِبُ بِهَا الْمَكْسَبَ... أَنْ يَكُونَ حَاذِقاً بِعَمَلِهِ، مُؤَدِّياً لِلْأَمَانَةِ فِيهِ، مُسْتَمِيلًا لِمَنِ اسْتَعْمَلَه».
* «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَنْسَاهُنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ: فَنَاءُ الدُّنْيَا، وَتَصَرُّفُ الْأَحْوَالِ، وَالْآفَاتُ الَّتِي لَا أَمَانَ لَهَا».
* «لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: الفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَحُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزَايَا».
* «ثَلَاثَةٌ مَنِ اسْتَعْمَلَهَا أَفْسَدَ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ: مَنْ أَسَاءَ ظَنَّهُ، وَأَمْكَنَ مِنْ سَمْعِهِ، وَأَعْطَى قِيَادَهُ حَلِيلَتَه». (أي زوجته)

(الحرّاني، تُحَف العقول)

لغة

فطر

* **فطر**: أصلٌ صحيحٌ يدلّ على فَتْحِ شيءٍ وإيرادِه، من ذلك الفِطرُ من الصوم.
* **والفِطْرَة**: الخلقة. قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي خالقها ومبتدعها ومخترعها، من فطرَه يفطُره - بالضمّ - فَطْراً: أي خلقَه.
* وقال ابنُ عبّاس: ما كُنْتُ أَدْرِي ما ﴿..فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ حتى أتاني أَعْرَابِيّان يَخْتَصِمَانِ في بِئْر، فقال أَحَدُهُمَا: أَنا فَطَرْتُها، أَي أَنا ابْتَدَأْتُ حَفْرَهَا.
* **فَطَرَ** الأَمْرَ: ابْتَدَأَه وأَنْشَأَه. **وانفطرتِ السماءُ**: انشقّت..
* **تَفَطَّرَتْ وانْفَطَرَتْ**: بمعنى؛ ومنه أُخذ فِطْرُ الصائم، لأنّه يفتح فاه.
* قوله تعالى: ﴿.. فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا..﴾. يقال: فَطَرَ الله الخلقَ، [على وزن ذَهَبَ] أي خلقَهم، والاسم الفِطرة بالكسر، وهي من الفِطر كالخلقة من الخَلق في أنّها للحالة، ثم إنّها جُعلت للخِلقة القابلة لدين الحقّ على الخصوص...
* وفي النبويّ الشريف: «**كُلُّ مَوْلودٍ يولَدُ عَلى الفِطْرَةِ..**»، يعني على المعرفة بأنَّ الله تعالى خالقُه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾. * وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَفْضَلُ ما يَتَوَسَّلُ بِهِ الْمُتَوَسِّلون... كَلِمَةُ الإِخْلاصِ** [لا إلهَ إلّا الله] **فإنَّها الفِطْرَةُ، وَإِقامُ الصَّلاةِ فَإِنَّها المِلَّةُ..**»....
* وفي الحديث تكرّر الذكر في زكاة الفطرة. وقولهم: تجب الفِطرة على حذف مضاف، والأصل تجب زكاة الفطرة، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه واستُغني به في الاستعمال لظهور المراد.
* والفِطرة تطلَق على الخلقة وعلى الإسلام، والمراد منها على الأوّل زكاة الأبدان، وعلى الثاني زكاة الدين.

(الطريحي، مجمع البحرين - بتصرّف)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله عمَّه العبّاس بولاية أمير المؤمنين عليه السلام

في كتاب (الطُّرف) للسيّد عليّ بن طاوس، نقلاً عن كتاب (الوصيّة) لعيسى بن المستفاد، قال: دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله العبّاس (بن عبد المطّلب) عند موته فخَلا به وقال له: **يا أبا الفضل! اعلمْ أنّ من احتجاجِ ربّي عَلَيَّ تبليغي الناسَ عامّة وأهلَ بيتي خاصّة، ولايةَ عليٍّ عليه السلام، فمَن شاءَ فَليُؤمن، ومَن شاءَ فَليَكفُر.**

يا أبا الفضل! جدّد للإسلام عهداً وميثاقاً، وسلِّم لوليّ الأمر إمْرتَه، ولا تَكُنْ كمَن يُعطي بلسانِه ويَكفرُ بقلبه؛ يُشاقُّني في أهلِ بَيتي، ويَتقدَّمُهم، ويَستأمِرُ عَليهم، ويتسلَّطُ عليهم لِيُذِلَّ قوماً أعزَّهم اللهُ، ولِيُعِزَّ قوماً لم يَبلُغوا، ولا يبلغون، ما مَدّوا إليه أَعيُنَهم.

يا أبا الفضل! إن ربّي عَهِدَ إليَّ عهداً أمرَني أن أُبلِّغَه الشاهدَ من الإنسِ والجنّ، وأن آمُرَ شاهدَهم أن يُبلِّغوا غائبَهم، فمَن صدّقَ عليّاً وَوازَرَهُ وأطاعَه ونَصَرَه وقَبِلَه، وأدّى ما عليهِ من الفرائضِ لله فقد بَلَغَ حقيقةَ الإيمان، ومَن أبى الفرائضَ فقدْ أحبطَ اللهُ عملَه حتّى يَلقى اللهَ ولا حُجّةَ له عندَه.

يا أبا الفضل! فما أنتَ قائل؟

قال: قبلتُ منكَ يا رسولَ الله، وآمنتُ بما جئتَ به وصدّقتُ وسلّمتُ، فاشهَدْ عَليّ.

(المجلسي، بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٩١)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

قُعَيْقعَانُ

بِالضَّمِّ ثُمَّ الفَتْح، هو جبلٌ بمكّة يُشرف على المسجد الحرام من الشمال الغربيّ، ويمتدّ بين ثنيتَي كَداء وكُدى، ويشرف على «وادي ذي طِوى» غرباً.

ولا يُعرف اليوم بهذا الاسم، ولكلّ جهة منه اسم جديد، منها: العبّادي، والسليمانيّة وجبل هنديّ، وجبل الفلق ..

وفي (معجم البلدان للحمويّ) أنّ «أبا قُبيس» و«قُعَيقعان» جبلان متقابلان وبينهما مكّة؛ الأول في شرقيّها، والثاني في غربيّها.

قيل: سُمّي الجبل الذي بمكّة قُعَيْقِعَان لأنّ «جُرهُم» كانت تجعل فيه قِسيّها وجعابها ودَرَقَها [جمع درقة وهي ترس] فكانت تُقعقع فيه.

ومن قُعَيْقِعَانَ إلى مكّة اثنا عشر ميلاً على طريق الخَوف إلى اليمن. وتشكّل «المروة» طرفَه الجنوبيّ. وقد ورد ذكره في السيرة النّبويّة في أكثر من مناسبة.

وقُعَيْقِعَانُ من أبرز الجبال التي يلحقها الجَرف، وتتغيّر معالمه التّاريخيّة والجغرافيّة على حساب «التوسعة» الحالية بشكل كبير.

وبحسب الكاتب الصحفيّ الدكتور فايز جمال، فإنّ شركات تابعة للقطاع الخاصّ بالشراكة مع بعض الجهات الحكوميّة السّعوديّة قد نسفت جبالاً بأكملها في مكّة من أجل مشاريع استثماريّة وتحقيق مصالح خاصّة تحت عنوان التوسعة على المسلمين.

وقال الدكتور سمير برقة «إنّ مكّة قامت على خمسة عشر حيًّا - أقدمها عمره أكثر من ٦٠٠ عام، وبعضها ضارب في التاريخ - لم يبقَ منها سوى حيّين اثنين، وأُزيل ثلاثة عشر حيّاً تحكي التاريخ والحضارة».

ويرى مختصّون في الهندسة المدنيّة أنّ مساحات مكّة المكرّمة شاسعة، ولا داعي لنسف جبال أو طمس معالم تاريخيّة لحساب التوسعة الحاليّة.

السيّد الحِميري يَتوبُ ببَركة الإمام الصادق عليه السلام، ويُنشده شعراً:

يا أمينَ اللّٰه... إليكَ تَأَوُّبي

هو السيد إسماعيل بن محمّد الحميريّ، أبو هاشم أو أبو عامر: شاعر إماميّ متقدّم. و«السيّد» اسمه أو لقبُه، ولم يكن علوياً.

قال (صاحب الأغاني): يقال إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهليّة والإسلام ثلاثة: بشّار وأبو العتاهية والسيّد، فإنّه لا يُعلم أنّ أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. توفّي عام ١٧٣ للهجرة/ ٧٨٩م.

وفي (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق، بسنده عن حيّان السرّاج، قال: سمعتُ السيّد بن محمّد الحميريّ يقول: كنتُ أقول بالغلوّ وأعتقد غَيبة محمّد بن عليّ - ابن الحَنفيّة - قد ضَللتُ في ذلك زماناً، فمَنّ الله عليّ بالصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط، فسألتُه بعد ما صحّ عندي بالدلائل التي شاهدتُها منه أنه حجّة الله عليَّ وعلى جميع أهل زمانه وأنّه الإمامُ الذي فرضَ الله طاعته وأوجب الاقتداء به، فقلتُ له: يا ابنَ رسول الله، قد رُوي لنا أخبارٌ عن آبائك عليهم السلام في الغَيبة وصحّة كونها، فأخبِرني بمَن تقع؟

فقال عليه السلام: إن الغَيبة سَتقعُ بالسّادس من وُلدي؛ وهو الثاني عشر من الأئمّة الهُداة بعدَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ أوّلُهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وآخرُهم القائمُ بالحقّ بقيّةُ الله في الأرض وصاحبُ الزمان. والله لو بقيَ في غَيبته ما بَقيَ نوحٌ في قومه لم يَخرجْ من الدنيا حتّى يظهرَ فيَملأَ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جَوراً وظُلماً.

قال السيّد: فلمّا سمعتُ ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، تبتُّ إلى الله تعالى ذِكرُه على يدَيه، وقلتُ قصيدتي التي أوّلها: [بحر الطّويل]

فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّـــاسَ فِي الدِّينِ قَدْ غَوَوْا ... تَجَعْفَرْتُ بِاسْـــمِ اللهِ فِيمَـــنْ تَجَعْفَرُوا
وَنَادَيْـــتُ بِاسْـــمِ اللهِ وَاللهُ أَكْـــبَرُ ... وَأَيْقَنْـــتُ أَنَّ اللهَ يَعْفُـــو وَيَغْفِـــرُ
وَدِنْتُ بِدِيـــنٍ غَيْرِ ما كُنْـــتُ دائِناً ... بِـــهِ، وَنَهَانِي سَـــيِّدُ النَّـــاسِ جَعْفَرُ
فَقُلْـــتُ فَهَبْـــنِي قَدْ تَهَـــوَّدْتُ بُرْهَةً ... وَإِلَّا فَدِيـــنِي دِيـــنُ مَـــنْ يَتَنَـــصَّرُ
وَإِنِّي إِلَى الرَّحْمَـــنِ مِـــنْ ذَاكَ تَائِـــبٌ ... وَإِنِّيَ قَـــدْ أَسْـــلَمْتُ وَاللهُ أَكْـــبَرُ
فَلَسْـــتُ بِغَالٍ مَا حَيِيـــتُ وَرَاجِعٍ ... إِلَى مَا عَلَيْهِ كُنْـــتُ أُخْفِي وَأُظْهِرُ "..."

(إلى آخر القصيدة، وهي طويلة)، وقال بعد ذلك قصيدة أخرى: [بحر الطّويل]

أَيَـــا رَاكِباً نَحْـــوَ الْمَدِينَـــةِ جَسْرَةً* ... عُذَافِـــرَةً يُطْوَى بِهَا كُلُّ سَبْسَـــبِ*
إِذَا مَا هَـــدَاكَ اللهُ عَايَنْـــتَ جَعْفَراً ... فَقُـــلْ لِـــوَلِيِّ اللهِ وَابْـــنِ الْمُهَذَّبِ
أَلَا يَـــا أَمِـــينَ اللهِ وَابْـــنَ أَمِينِـــهِ ... أَتُـــوبُ إِلَى الرَّحْمَـــنِ ثُـــمَّ تَـــأَوُّبِي
إِلَيْكَ مِنَ الْأَمْـــرِ الَّذِي كُنْتُ مُطْنِباً ... أُحَـــارِبُ فِيـــهِ جَاهِـــداً كُلَّ مُعْرِبِ
وَمَا كَانَ قَوْلِي فِي «ابْـــنِ خَوْلَةَ» مُبْطِناً ... مُعَانَـــدَةً مِـــنِّي لِنَسْـــلِ الْمُطَيَّبِ...
فَإِنْ قُلْـــتَ لَا فَالْحَقُّ قَوْلُـــكَ، وَالَّذِي ... تَقُـــولُ فَحَتْمٌ غَـــيْرَ مَـــا مُتَعَصِّبِ
وَأُشْـــهِدُ رَبِّي أَنَّ قَوْلَـــكَ حُجَّـــةٌ ... عَلَى النَّاسِ طُرّاً مِنْ مُطِيـــعٍ وَمُذْنِبِ
بِـــأَنَّ وَلِيَّ الْأَمْـــرِ وَالْقَائِـــمَ الَّذِي ... تَطَلَّـــعُ نَفْـــسِي نَحْـــوَهُ بِتَطَـــرُّبِ
لَهُ غَيْبَـــةٌ لَا بُـــدَّ مِـــنْ أَنْ يَغِيبَها ... فَصَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ مِـــنْ مُتَغَيِّبِ
فَيَمْكُـــثُ حِيناً ثُـــمَّ يَظْهَـــرُ أَمْرُهُ ... فَيَمْـــلَأُ عَـــدْلاً كُلَّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
بِـــذَاكَ أَدِيـــنُ اللهَ سِرّاً وَجَهْـــرَةً ... وَلَسْـــتُ وَإِنْ عُوتِبْتُ فِيـــهِ بِمُعْتَبِ

* الجَسرة: الناقة القوية. والسَّبْسَب: القَفْر أو الأرض المستوية.

إصدارات عربية

الكتاب: ثلاثة عناوين من ضمن «سلسلة المعارف التعليميّة»

إعداد: «مركز نون للتأليف والترجمة»

الناشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة»، بيروت ٢٠١٦م

أصدرت «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة» ثلاثة كتب من ضمن سلسلة «المعارف التعليميّة» هي التالية:

١) كتاب (**الأخلاق المذمومة على ضوء فكر الإمام الخميني قدّس سرّه**)، وجاء في التقديم له: «إنّ أيّ مهتمّ بتهذيب نفسه وتزكيتها لا بدّ له من أن يتعرّف إلى أمراضها أوّلاً ليتخلّص منها ومن ثمّ يتوجّب عليه أن يتعرّف إلى كمالاتها وفضائلها ليتحلّى بها ثانياً.. ومن أهمّ طرق التعرّف إلى الأمراض معرفةُ عوارضها ممّا يظهر في النفس وسلوكيّاتها وأحوالها فيتمكّن المهتمّ بتهذيب نفسه من اكتشافها..».

٢) كتاب (**الأخلاق المحمودة على ضوء فكر الإمام الخميني قدّس سرّه**)، وهو الجزء الثاني من «دراسات أخلاقيّة» التي تشمله والكتاب السابق، وموضوعه الفضائل الأخلاقيّة والكمالات النفسيّة، التي منها: الإيمان – العلم – العزم – التفكّر – الذِّكر – الطمأنينة – اليقين – الشكر – الصبر – الرهبة من الله – الرجاء – التوكّل – التسليم – الرضا – التقوى – الزهد – الحلم – الأمانة – العدالة – التواضع – الصمت – الرِّفق – الرأفة – العفّة – شرح الصدر – النشاط والبهجة في العبادة.

وعن خصائص الكتابين السالفين نقرأ التالي:

* سعينا إلى تحقيق الغرض الأساسي من تدوين الكتب الأخلاقيّة، وهو أن تكون فرصة مهمّة للتأثير في النفوس لا مجرّد وصفة طبيّة..

* استقصاء كلّ ما ذكره الإمام الخميني أو كتبه فيما يرتبط بكلّ رذيلة أو فضيلة..

* أدرجنا نهاية كلّ درس مجموعة من الآيات الشريفة والأحاديث في نفس موضوع الدرس لإغناء المادّة.

٣) كتاب (**المنهج الجديد في تربية الطفل، الرؤية الإسلاميّة للأبعاد والميادين**)، وقد جاء في التعريف به: «انطلاقاً من أهمّيّة علم التربية وخطورته في خارطة علوم الإنسان من جهة، ومن ضرورة أن تكون تربيتنا منسجمة مع الرؤية الكونيّة الوحيانيّة، التي دعا إليها الإمام الخامنئي دام ظلّه، كان هذا الكتاب... دراسةً تأصيليّة تهدف إلى توضيح المعالم العامّة للمنهاج التربوي الإسلامي في خطّ علاقة المربّي مع الطفل المتربّي من خلال استنطاق النصّ الديني – القرآن والسُّنّة – في ضوء فهم علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لتكون حياتنا التربويّة مع أطفالنا تعيش حالة التوفيق بين السلوك التربوي من جهة، والعقيدة والقِيم والشريعة الاسلاميّة».

الكتاب: تهذيبُ النّفس

إعداد: «مركز نون للتأليف والترجمة»

الناشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة»، بيروت ٢٠١٦م

من ضمن سلسلة «دراسات في فكر الإمام الخميني قدّس سرّه» صدر عن «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة» كتاب (تهذيب النفس) الذي يتميّز بأنّ تمام مطالبه هي من نصوص الإمام الخميني وكلماته. وقد جاء في التقديم له: «تمّ السعي عند جمع هذه المادّة وتبويبها أن تتضمّن أغلب ما ورد عن الإمام قدّس سرّه في عنوان الكتاب (باب تهذيب النفس) بحيث يكون الجمع شاملاً لدقائق رؤيته وأصولها».

يتألّف الكتاب من تسعة فصول عناوينها كالتالي: أهمّيّة تهذيب النفس وضرورته - الأنبياء وتهذيب النفس – العلم وتهذيب النفس – الحوزة العلميّة وتهذيب النفس – الجامعة وتهذيب النفس – تأثير العلماء المهذَّبين في إصلاح المجتمع – الشباب وتهذيب النفس – الآثار السلبيّة لعدم تهذيب النفس – الآثار الطيّبة لتهذيب النفس.

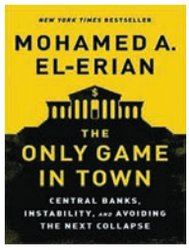

إصدارات أجنبية

الكتاب: «**اللعبة الوحيدة في المدينة**» The only Game in Town

المؤلّف: محمّد العريان

الناشر: «Random House»، ٢٠١٦

في خريف عام ٢٠٠٨ انفجرت الأزمة المالية والاقتصادية العالمية انطلاقاً من الولايات المتحدة الأميركية. ويتفق المراقبون والأخصائيون أنها لم تكن وليدة يومها ولكنها نسجت خيوطها على مدى السنوات التي سبقت انفجارها. ولا تزال آثار تلك الأزمة قائمة إلى اليوم، بينما يترقب كُثر إمكانية نشوب أزمة جديدة ربما تكون أكثر حدّة من الأزمة الأخيرة.

في هذا السياق صدر كتاب أثار اهتمام الكثيرين لمؤلفه «محمد العريان»، أحد الاقتصاديين الأكثر نفوذاً في العالم اليوم وأحد المستشارين الاقتصاديين المقرّبين من الرئيس الأميركي باراك أوباما، ويناقش المؤلف فيه المسائل المتعلّقة بـ «البنوك المركزية وغياب الاستقرار والانهيار القادم»، كما جاء في عنوانه الفرعي.

ويحدد محمد العريان منذ الصفحات الأولى في الكتاب مجموعة من «التحديات» التي سيكون على الاقتصاد العالمي مواجهتها كي يتجنّب مزالق وأزمات قد تكون أكثر خطورة من الأزمة المالية الأخيرة، والتأكيد بأشكال مختلفة في هذا الكتاب أن العالم يمكن أن يتجه نحو أزمة أكبر وأعمق، وبهذا المعنى يستخدم تعبير «الانهيار» كخطر مهدد. ويكرّس المؤلف عشرة فصول قصيرة من أجل مناقشة كل تحدٍ من التحديات التي يرى أنه ينبغي على العالم مواجهتها. والتحديات المطروحة ليست جديدة في واقع الأمر، لكن المؤلف يطرح أساساً السياق الذي انتجها، ويقترح ما يراه سبلاً من أجل مواجهتها، بطريقة تعالج أسبابها.

المؤلّف: مارك دوغان وكريستوف لابي

الناشر: «Plon»، باريس ٢٠١٦

«الإنسان العاري» الذي يقصده المؤلفان في عنوان هذا العمل هو بالتحديد الإنسان الحديث، إنسان العصر الرقمي. وهو الذي كشفت مختلف وسائل التواصل الاجتماعي الرقمية الغطاء عن الكثير من المعلومات والمعطيات الخاّصة بحياته وجمعتها في نوع من «المفكّرة الرقمية» التي يتم استخدامها من مختلف الأجهزة عند الحاجة إلى ذلك.

أمّا وسائل الحصول على المعلومات والمعطيات التي تخصّ حياة البشر واهتماماتهم وأفكارهم وتحرّكاتهم فتحمل تسميات «بيغ داتا وغوغل وآبل وفيسبوك وأمازون»، ومشتقاتها التي تقوم عبر شبكات الانترنت ومختلف الشبكات الرقمية. ويشير المؤلفان أنه وراء هذا التكنولوجيات يرتسم واقع «عالم جديد» و«عالم خاضع للرقابة المستمرّة»، هو بصدد بروز ملامحه وما يحمله من التهديدات بالنسبة للحريّة الفردية الإنسانية.

والتعريف الذي يقدّمه المؤلفان لـ«الإنسان العاري» في العصر الرقمي السائد هو أنه يتمّ اختزاله إلى مجرّد «مستهلك ومنتج للمعطيات» التي يمكن استخدامها في العديد من المشارب، التي تمتد من التسويق والتجارة إلى الأمن والدفاع. وهذا ما يمكن ترجمته إلى سيادة نوع من «الدكتاتورية الخفيّة»، لكن «الناعمة» والتي يمكن أن تستخدمها مختلف الأجهزة.

يلفت الكتاب إلى أن هذا الواقع الرقمي المتأجج، سيفضي إلى سعي كل فرد أن يؤقلم سلوكه وحتى طريقة تفكيره مع «الموديل السائد». «ذلك بالتحديد على عكس ما يردده عاليا القائمون على وادي السيليكون ــ عرين الصناعات الرقمية ــ بالقول: بفضلنا غدا الفرد حرّا أكثر فأكثر»، كما يكتب المؤلّفان.

«إصلاح»

عدد خاص بعيد الفطر المبارك

صدر العدد الجديد من مجلة «إصلاح» الشهرية، التي تصدر باللغة الأوردية عن جمعية العلماء التابعين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا العدد المخصّص ملفّه عن عيد الفطر المبارك، نقرأ مجموعة من المقالات والأبحاث، منها:

- «أنوار القرآن» بقلم آية الله راحت حسين كوباليوري ويتحدث فيه عن عظمة الكتاب الإلهي في الحياة البشرية.
- «أنوار الحديث» للسيد محمد حسين باقري، وفيه يعرض إلى سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وما قالوه في نهاية شهر رمضان المبارك.

كما نقرأ في الأبواب الأخرى:

- مسائل وفتاوى للإمام السيد علي السيستاني.
- مقالة حول الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ومكانته العلمية والأخلاقية، كتبها آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني. كما تضمّن العدد الجديد مقالات وتحقيقات ثقافية متنوعة.

«الثقافة العالميّة»

صدر مؤخراً العدد الجديد من مجلة «الثقافة العالمية»، والتي تصدر كلّ شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

يضم العدد مقالات ودراسات أجنبية مترجمة عن دوريات عالمية، نقرأ منها:

-العرق والعقيدة الأميركية: التعافي من التطرف الأسود.

-التسامح يتعدى تحمل الأشياء: إنه فضيلة أخلاقية.

في ملف العدد:

- الرأسمالية - إلى أين؟
- ما خطب اقتصادات الغرب؟
- لماذا لم تقرع أجراس الإنذار؟
- لماذا يزداد الأغنياء ثراء؟
- ما بعد الرأسمالية: نحن ذاهبون إلى حيث لا نحتاج دروباً.
- ما قبل العناوين: كيف اكتسبت اللوحات الفنية الغربية أسماءها.
- من الاستشراق إلى العلوم الاجتماعية.
- عن الإيقاعات واللازمات في دمشق المعاصرة: الفضاء المدني والتعايش الإسلامي المسيحي.

«نافذة من السماء»

(٢١)

«نافذة من السماء» مجلّة قرآنيّة تربوية داخلية، تصدر عن «جمعية القرآن الكريم» في لبنان، وتتوجّه إلى الناشئة، بعرضٍ مبسّط للمواضيع القرآنية والولائيّة.

نقرأ في هذا العدد الجديد:

- الافتتاحية: معنى الرحيم.
- شمس الولاية: كلام السيّد القائد دام ظلّه.
- الجَمل في القرآن الكريم.
- قصّة إسحاق نبيّ الله عليه السلام.
- الكذب في القرآن الكريم.
- أحكام التلاوة: الرسم القرآني والرسم الإملائي.

كما ونقرأ في هذا العدد قصصاً قرآنية، وأنشطة الجمعيّة، ومسابقة قرآنية.

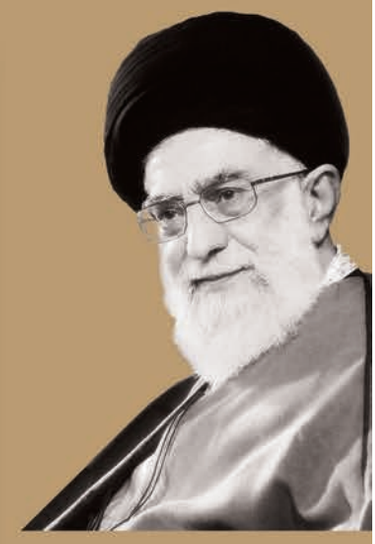

ثباتُ الأمّة.. على هَدي القُرآن

إنّنا بعيدون عن القرآن، والأمّة الإسلامية بعيدة عنه أيضاً، وهناك بَوْنٌ شاسعٌ بين واقع حياتنا والحقائق القرآنية! وما علينا إلّا أن نُقرِّبَ أنفسنا منه، فإنّ سعادة الأمّة الإسلامية مرهونةٌ بأن تقتربَ بنفسها من القرآن ومفاهيمه ومعارفه ودروسه. «..»

اليوم تُنفَق أموالٌ باهظة في العالم، وأعمالٌ كبيرة تُنجز، لتسديد ضربة للإسلام والمسلمين. إنّ القوى الطاغوتية في العالم تَهاب الإسلام، وتخاف من مجتمع المسلمين البالغ عدده ملياراً ونصف المليار نسمة، ولهذا باتتْ تبذل قصارى جهدها لاستلاب القوّة من مجتمع المسلمين بطُرقٍ مختلفة، فهي تعلم أنّ الإسلام يقف سدّاً أمام مطامعها.

ولو علا صوت الإسلام، لما توافرت لها بعدُ إمكانية ممارسة الظلم في حقّ الشعوب بهذه الطريقة. لذا فهي تعمل على إخماد صوت الإسلام، من أجل أن يتسنّى لها إخراج قضايا المستضعفين في العالم من الأذهان، وإيداع القضية الفلسطينية واغتصابَ بلدٍ إسلاميٍّ في غَياهب النسيان.. هذه هي الأهداف التي ينشدونها.

فلو تمسّكنا بالقرآن وبهَديِهِ، لكان بمقدورنا التغلّب على هذه المؤامرات، ولو واصلنا طريق الجهاد، لكان النصرُ حليفَنا لا محالة. فلا بدّ من التمسّك بالقرآن، والعالمُ الإسلاميّ بحاجة إلى التمسّك بحبل الله، وإرساء دعائمه، وتعزيز ثَباته وصموده. «..»

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمهّد السبيل لحركة الأمّة الإسلامية. فلو جاهدنا وتحرّكنا وأخلصنا نيّاتنا، سوف يَنصرنا الله عزّ وجلّ، وإنْ تقاعسنا ولم نؤدِّ الواجبَ الذي في أعناقنا، لا ينبغي بطبيعة الحال أن نتوقّع النصر الإلهي. إنّ اللهَ يساعدُ الذين يعملون ويجتهدون، وينصرُ الشعوبَ التي تتحرّك وتبذل جهدها، فَلنُجاهِد ولْنَتحرّك، لنفوزَ بنصرة الله تعالى.

وكلّي يقينٌ بأنّ النصر للإسلام، وأنّ جبهة الكفر، بكلّ ما تنطوي عليه من سعة وبهرجة وفجور، سوف تُرغَم في نهاية المطاف على التراجع أمام الأمة الإسلامية وأمام جبهة الإسلام المناضلة والمجاهدة. ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ الفتح:٢٢، وهذه هي سُنّة الله التي لا يعتريها شكٌّ ولا ريب. والشرط الوحيد فيها أن نتحرّك ونبذل مجهودنا، ولو قُمنا بذلك، فإن سنّة الله تقضي بأنّ العدوّ يجب أن يتراجع، وهو سيتراجع بالفعل.